



موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى



بلدة بيت أمر

الباحث:

الأستاذ مروان الماضي



2025م



مروان الماضي

بيت أمر الخليل



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى

أجيال فلسطين والعرب أجمعين نذكرهم بأهمية فلسطين

فلسطين هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعينان، تحفوا له القلوب وترنم بموائه المشاعر والقلوب تبكي لفراقه وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله الباقين والمبعدين من أصحابه عرب فلسطين.

لم تمض ثمانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام ١٩١٧ حتى عامنا هذا ٢٠١٧) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه أجواء الكون تحمله موجات الأثير المسموع منها والمرئي والمقروء حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا مع أفريقية)

إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي

تتميز تضاريسها بساحل طوله ٢٤٠ كم يطل على البحر الأبيض المتوسط وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.

فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع كروم وزيتون وتين ولوزيات وحمضيات وهي أرض السمن والعسل.

فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج بالجرمق وكنعان بصفد وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت ٤٣٥ م تحت سطح البحر.

هي مهبط الأديان السماوية (يهودية- مسيحية- مسلمون)

مازجت فيها الحضارات القديمة مصرية كنعانية بابلية آشورية كلدانية وآموريه ويونان ورومان وفرس وغيرهم.

عبرتها الجيوش الجارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركة عين جالوت وحطين.



التقت فيها البضائع والسلع من الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية والبن والصمغ اليمني والتمور العراقية والبروكار الحريري الدمشقي والسجاد الفارسي والزجاج الخليلي والأصبعة الفينيقية.



تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات وامتلاك ادوات البحث والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة ولهذا كله أو بسبب هذا كله عددت اهتماماته : فهو الأديب ، الكاتب ، المؤلف ، المثقف ، الملتزم المعلم ، والتربوي الكبير... الخ لكنها كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة : بوتقة محبة الوطن فلسطين، ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه تستحوذ على فكره وعقله وإحساسيه . ويدرك الأستاذ مروان "أن الوطن " فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار، الاستعمار الاستيطاني له أيديولوجية خاصة وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود ومحو الأسماء وطمس المعالم وسرقة الآثار وتشويه التراث وتزييف الوثائق ونفي الهوية الوطنية و إفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين وأصبح الصراع وجود .

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة، ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض على اعتبار فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية ماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها، ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في:

كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق يهدف الى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام، ولهذا فإن كتاباته تندرج في إطار واجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية أي تندرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة أدب بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة وهي مهمة وطنية وملحة في محاولات التدوين والطمس والنفي كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية وعندما يكتب عن مدينة الطيبة مثلاً نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وادواتها وعلى الحياة الثقافية وما

تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم والمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث وحماية الهوية الوطنية من الذوبان الى الفولكلور من غناء ودبكات الى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن وكل هذه المحاور ترصع بالصور و الخرائط والبيانات الأخرى ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي الى:

تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ

تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية

الحفاظ على كل شيء (إحياء اللهجة والعادات وكل شيء يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها.
ولا اريد هنا أن اخص للقارئ ما كتبه المؤلف لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر حرارة للإخلاص بالحس الوطني الصادق بالتماهي مع المكان وناسه وتاريخه ويمنح العلم والمعرفة أهمية بارزة وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدرة العرب.

د: شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني من دخولهم أرض فلسطين، واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص فأقاموا المستعمرات المغلقة وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز و موساف) واستطاعوا بناء ٥٠ مستعمرة حتى عام ١٩٣٥م واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور، وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية . وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية وزيادة العداء بينهم وبين سلطة الاحتلال والعرب وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

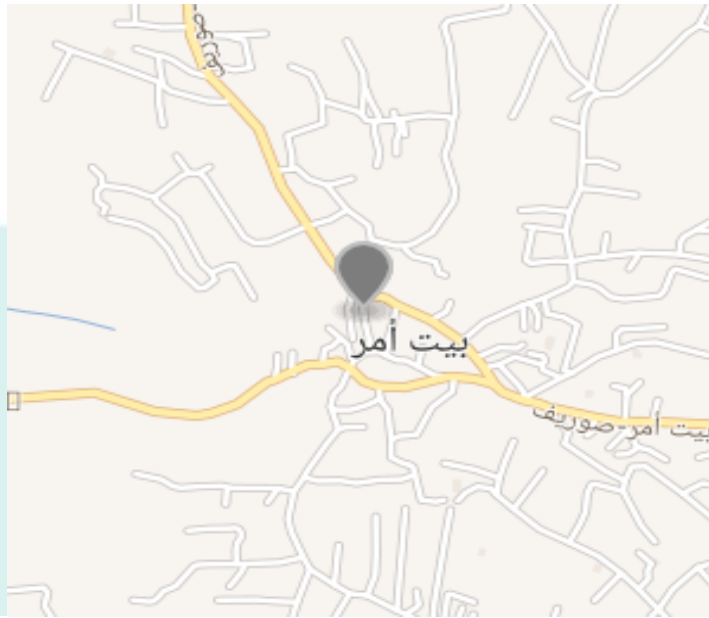
إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي يجعلوه نسرأ في بلادنا وحولوا ديارنا نخبأ للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حما الوطن وليس على عدو افتراضي هل حماس الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمة كانت او مظلومة رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل هل هذا الحماس هو حباً، باليهود أم كرهاً للعرب؟ والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب فإن الميزان ليس مستقراً في العالم وسيكون دمارهم على يد من صنعهم وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب أمة للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول: لمحة جغرافية

الموقع والحدود:

تقع بلدة بيت أمر الخليلية شمال مدينة الخليل وتبعد عنها قرابة ١١، ٥ كم وترتبط بطريق الخليل - القدس التي تمر غربيها بطريق فرعية من الدرجة الثانية طولها كيلو متر واحد كما ترتبط بطرق فرعية ببعض القرى المجاورة كصورييف وبيت فجار ويرجح أنها أقيمت فوق أنقاض " بلدة معارة " العربية الكنعانية.



نشأت البلدة فوق رقعة جبلية من الأرض ترتفع ٩٨٧ م عن سطح البحر وأراضيها الغربية أكثر ارتفاعاً من أراضيها الشرقية إذ توجد الى الغرب منها سلسلة جبلية تنحدر صوب الشمال الغربي حيث تبدأ المجاري العليا لبعض الأودية مثل وادي المقطم ووادي البويرة.

ولما كانت البلدة تقع على جبال عالية تميز مناخها عما جاورها من المناطق المنخفضة إذ تقنص المياه من الغيوم وتحصل على مياه كافية للشرب والرعي والزراعة كما أن صخورها الكلسية تمتص المطر كالإسفنج وتغوص المياه في جوف الجبال ويحلل الماء الكلس ويشكل تجاويف (مغر) تزداد اتساعاً وتستقر فوق طبقات غضارية كثيفة وتشكل المغر كبيرة، خزانات

ضخمة تنبتق منها الينابيع لتزود الأنهار مثل نبع لكابري شمال عكا ونبع ونهر الدان في الجليل الأعلى ونبع العوجا رافد نهر العوجا مقابل مدينة يافا والذي يروي مناطق واسعة في الوسط الغربي من فلسطين. ويشرب سكان البلدة من ماء الأمطار والينابيع والعيون مثل عين كوفين وعين المقطم وعين مرينا وغيرها.

لقد ازدادت المساحة المطلوبة للبناء في البلدة من ٥٥ دونما عام ١٩٤٥ الى ١٥٠ دونما عام ١٩٨٠م وذلك بفضل النمو العمراني الذي يتجه نحو الغرب والجنوب الغربي.

المساحة:

تبلغ مساحة أراضي بيت أمر (٣,١٢٩) دونماً منها (١٣٤) دونماً للطرق والأودية وتحيط بالبلدة بساتين الأشجار المثمرة وتتوزع هذه الأشجار على سفوح المنحدرات الجبلية وفوق قممها، وزرع الحبوب في المنخفضات وبطون الأودية وتزرع الخضار فوق الأرض المبسطة كما يزرع فيها الزيتون والعنب والخوخ والبرقوق والتفاح والتين والكمثرى وغيرها من الأشجار المثمرة الى جانب زراعة الخضار وبخاصة البندورة يروى قسم منها عن طريق العيون والينابيع المنتشرة في أراضي البلدة وتأتي عيون العروب على رأس عيون الماء المتدفقة ويستفاد منها أيضاً للشرب أحياناً، وقد جرت مياهها الى مدينة القدس في عهد السلطان "قايتباي" في القرن التاسع هجري، ومنها والباقي على الأمطار الشتوية.

لقد حصل تطور في عدد سكان بلدة بيت أمر والجدول التالي يوضح:

العام	عدد السكان
١٩٢٢	٨٢٩
١٩٣١	١١٣٥
١٩٤٥	١٦٠٠
١٩٦١	٢١٠٣
١٩٨٠	٥٠٠٠
٢٠٠٨	١٩٣٠٠

لقد من الله تعالى على بلدة بيت أمر الخليل تضاريس متنوعة وتربة غنية ومياه كافية وطبيعة جميلة خلابة لتتصبح بلدة بيت أمراً لخليل بوابة المحافظة في الشمال مستقبليها الزاهر كبلدة سياحية يشار إليها بالبنان بتلهم بزيارتها القريب والبعيد. وإنما

بليت البلدة بالاحتلال فأحاطوها بالمستوطنات وسلخوا معظم أراضيها ولا زالوا يطمعون بخيراتها وحلاوة العيش فيها وأهل بيت أمر يرون العدو وقد سرق أراضيهم يستثمرونها ويتلذذون بخيراتها تملأ صدورهم غيظا وحقدا وتصميما لاسترجاع الحق ولو بعد حين.

لقد خل التوازن في البساط الأخضر الذي كان يكسو محافظة الخليل وما جاورها من غطاء نباتي وحيواني، حيث دمر البشر الغابات وقتلوا الحيوانات عبر العصور وتعرت المرتفعات من نباتها وترتبتها وزاد التصحر وانكمشت الخضرة، مما جعل المسؤولين في دول البحر الأبيض المتوسط يدركون الخطر فقاموا بمشاريع التشجير السنوية حيث تزرع ملايين الأشجار سنويا في مطلع شهر ك ٢ من كل عام، وقد لمست ما حصل في الأردن وسورية وفلسطين من اتساع الأجرار وعودة الطبيعة الى حالها الأولى بالمتابع والصبر والنشاط المستمر. وإني في هذا السياق أقدم للقارئ نموذجاً من هذه النباتات والحيوانات الطبيعية والطبي منها والدوائية.

النباتات والحيوانات

النباتات

تعتبر أراضي البلدة نموذجا أصيلا للنباتات والحيوانات الطبيعية والمدجنة فيها وخصائصها، ورغم أن الإنسان قد دمر قسما كبيرا منها مع الزمن فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات وقلما تجد تلة من تلالها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة ويمكن ايجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصه:

البلوط: ويشكل تجمعات شجيرية واضحة كما أن السريس والسنديان ينتشران بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة تتبعها أشجار الخروب والسعتر والنتش والزوفاء والميرمية والشومر كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة.

الدقلة: وهي شجرة ائمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة إذ تعتبر شديدة السمية للإنسان والحيوان وتؤدي بذورها الى الغثيان وانخفاض النبض وتدخل مستحضراته كمقوية للقلب.

العرعر: فصيلة سرويه يستخدم في الطب وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج فتجفف في الطل وتحوى وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول وتفيد كمقشعة للبول وللتهابات التنفسية وفاتحة للشهية

الطيون: نبات ذو ساق وأوراق عريضة لزجة لها رائحة غير محبة تستخدم في إزالة شوك ثمار الصبار عند قطفها ويستعمل كمادة مضادة للجراثيم وخواص مضادة للديدان الحلقيه كما يدخل تركيبها في ترطيب الجلد الجاف عند استخدام البخار المنطلق من الطيون المغلي.

الزرنخ: وهو شجر بري ويزرع في البيوت والشوارع أحيانا ويكثر في المزارع ويستعمل قشره كطارد للديدان ، والمواد المستخرجة منه خافضة للحرارة ومياهه المغلية تستعمل لأمراض الجذام و يعتبر الزيت الناجم عن البذور مقويا للشعر كما يستخدم في أمراض الجلد. ألكينا: شجر معمر أوراقه مغزليه وجذوره قوية تمتد الى مسافات طويلة تؤثر في أساسات الأبنية تكثر في السهل الساحلي وحول الطرق العامة أوراقه غنية بزيت الأوكالبتوس القاتل للجراثيم. يدخل في تركيب عدد من المراهم المستعملة لتطهير مجاري التنفس والرشوحات ومرض الملاريا.

البابونج: نبات عشبي حول تجمع النورات في فترة الإزهار الكامل ثم تحفف بالظل ضمن تهوية جيدة وتستعمل ضد الالتهابات وهي مطهرة تدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء ثم القصبات والسعال والربو.

المليسه: نبات عشبي أيضا وهو معمر يكثر في الأماكن الرطبة على حواف الأودية يستعمل بشكل واسع في صناعة العطور التجميلية كما يستفاد منها في المرطبات، وتستعمل طبيا في حالات الضعف العام وحالات خفقان القلب كما أنها مضاد للتشنج والمغص المعوي وكذلك للصداع والروماتزم.

الشومر: وهو من الفصيلة النجمية، (اليانسون) يستعمل منش المستخرج منه في الصناعات مغذية ويعتبر أساسا صناعيا للمنتوجات العطرية والتجميل.

الحنظل: من الفصيلة الفرعية، نبات عشبي معمر تبدي ثماره فعالية مسهلة شديدة الفعالية ومسحوق البذور وخلصتها تصلح كمواد مضادة للطفيليات.

السعر: نبات معمر ينتشر بشكل واسع على المرتفعات المحيطة بالبلدة ويحوي على زيت طيار تستخدم أوراقه في الطعام مع الزيت كما أن الزيت المستخرج من أوراقه يستعمل في الروماتزم وأن مغلي هذا النبات يستخدم في الغرغرة كما يدخل السعر الطعام للإنسان مخلوطا بالزيت (زيت الزيتون) والفطائر والتهاب اللثة ومخاطية والتهاب الرئة وقرحة المعدة و الأثني عشرية كطارد للديدان الخيطية ومضاد للسعال، يكثر هذا النبات في المنطقة ويرافق السعر له رائحة عطرة. وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات وبشكل خاص الحلق واللوزيات والأغشية المخاطية ، تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء ويستعمل المنقوع أيضا لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر.

الهندباء و الخبيزة: وهي من النباتات الحولية تكثر في البراري وأطراف الأودية، وتقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة وهي غذاء أساسي للناس في موسمها كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل ومطهر للجراثيم وكذلك بالنسبة للسعر.

الخله: وهو نبات عشبي حولي وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة.

شجر الخروب: يكثر شجر الخروب في المنطقة وبشكل خاص على قمة المرتفعات وقد إعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخروب ويحفظونها في أماكن خاصة حتى تجف ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة تسمى (الدست) ويغمر الخليط بالماء يوماً كاملاً حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلواً ثم يفرك الخليط ويطرح خارج الوعاء ويجفف الخليط ويستخدم وقوداً للطواحين ويستفاد منه لغذاء الحيوانات بخلطه مع مواد أخرى؛ أما الماء في الدست يغلى حتى يصير لزجاً وتزداد حلاوته ويتحول لونه إلى الحمرة ثم إلى اللون الأسود ويدعى دبس الخروب أو الرب، ويعتاد أهل القرى في فلسطين أكلها و تموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عوناً لهم في الطعام. وأحياناً يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف إليه الثلج ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس ، والملفت للنظر أن أوراق شجر الخروب الغضة تحوي على مواد قلبية بشكل قوي فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ وتزال بالصابون العادي سوى بورق الخروب.

شجر الزيتون: ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة رامة الله تجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني وكانت تستخدم الطرق القديمة على ضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر، وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وعلى حجر كبير دائري بشكل الدولاب يديره حيوان ويعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نباتات القصب على شكل دواليب وتوضع القفف بعضها فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل يسمى (بئر) (البدود). وفي البلدة ثلاث معاصر زيتون المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز)، ثم تجمع في براميل وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار . وأغلبها يطلى بطبقة من البورسلان. والمعصرة الآلية في البلدة يسمونها "البابور".

الصبار: وشكل الصبار حزاماً يلف بعض الحواكير (قطع من الأراضي) ويعطي هذا النبات ثمرًا لذيذاً الطعم حلو المذاق يلتقط بواسطة الأيدي واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات والأقماع المعدنية المثبتة على عصا طويلة، ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب، وتعتبر أحزمة الصبار لحدود الكروم سياجاً تحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي، كما تعتبر عصارة ألواح الصبارة مادة قلبية لالتئام الجروح.

ينتسب إلى هذا النوع من الشجر عدد كبير من النباتات (الليمون- البرتقال - اليوسفي- الماندلينا والكيب فروت- والكباد.. الخ) وتجود زراعة أشجار الحمضيات على سفوح التلال ومنخفضاتها تنزين أراضي شعب وبشكل خاص في فصل الربيع ببساط أخضر بنباتات متعددة ومتنوعة مثل النرجس وشقائق النعمان بينما تنطلق روائح الأزهار وتملأ الجو رائحة زكية عطرة تنعش القلوب وتلج الصدور بينما تنقل الرياح هذه لروائح إلى مسافات بعيدة وعلى حواف الوديان تنمو

أشجار الدفلى وهي تلبس أزهارا وردية ملوحة بالأبيض تصدر روائح عطرة تجذب النحل من أماكن بعيدة يتغذى برحيقها الفواح.

وقد اعتاد السكان في البلدة زراعة بعض النباتات الزهرية في بيوتهم إما بشكل حدائق صغيرة الحجم أو بأصص وفي أواني متنوعة فيزرعون القرنفل والريحان والخبيزة العطرة والخبيزة.

وبعد الاحتلال سلب الأراضي عوض المزارع في البلدة ومناطق القطع فقدان أراضيهم الزراعية على زراعة الورود بالبيوت البلاستيكية وتفننوا بتوضيبيها وشحنها لأوروبا كمادة تجارية رابحة جذبت حب الأوروبيون وتقديرهم لهذا الإنتاج المتميز من الأزهار والورود. وبعض الأسر كانت فيما مضى تستخدم طحين الذرة في طعامها ويقال عن رغيف الذرة البيضاء الكرا ديش، أعشاشها فوق تعتبر أراضي البلدة نموذجاً أصيلاً للنباتات والحيوانات الطبيعية والمدجنة فيها ورغم أن الإنسان قد دمر قسماً كبيراً منها مع الزمن فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات وقلما تجد تلة من تلاها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها.

الهندباء والخبيزة: وهي من النباتات الحولية تكثر في البراري وأطراف الأودية، وتطفأ أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة وهي غذاء أساسي للناس في موسمها، كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل ومطهر للجراثيم وكذلك بالنسبة للسعتر.

الخلّة: وهو نبات عشبي حولي وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة، الأراضي ومناخ وتباين في التضاريس هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية.

الطيور والحيوانات البرية:

وقد استطاع العلماء تصريف الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات، بنسب متفاوتة منها على سبيل المثال: طيور الحجل و الشنار: ويعيش في المرتفعات بين الأحراش بين أشجار السريس والسنديان وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين وكان بعض الصيادين يأخذون فراخها ويدجنها في البيوت ضمن أقفاص ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور.

الرقطي والقطا: يشبه الرقطي الحمام تماماً ويقال عنها ستيتية لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقاً لها صوت عذب عندما تصدح باكراً تبني أعشاشها فوق أشجار الزيتون وكان صبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو بتربيتها في الأقفاس.

أما القطا: فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة لحمه قاس ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان الى آخر بغية قنصه.

الزرزور: من الطيور الموسمية المهاجرة تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة حجمها متوسط ولحمها طيب يلاحقها الصيادون ويجمعون منها الكثير وتباع للمطاعم.

السمن والفرئ: وهو طير مقيم في كثير من الأحيان ويعيش بين جنوع الشجر الملتف ويتم تكاثره باستمرار رغم مطاردة الصيادين عن طريق لصيد بالبارود والفخاخ و النقيفات وهذا لطير متوسط الحجم لحمه لذيد الطعم.

الزرعي: ويشبه طير السمن لكنه يعيش بين الزرع والأراضي المحروثة وأغلب صيده يتم عن طريق الفخاخ.

والهدهد: طير موسمي يكثر في الربيع والخريف جميل المنظر له قنبرة على رأسه تتوجه صيده غير محب لقله وجوده أولاً، ثم لاتجاهات دينية ثانياً وهناك من الطيور الشائعة مثل البلابل والدوري والكرس والآمي والسنونو... الخ.

وهناك الطيور الجارحة مثل (الصقور والبوم والغراب).

الحيوانات البرية والزواحف:

وجد مثل هذه الحيوانات مثل (الضباع والثعالب والواوي و الذئب وغيرها بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر الزمن كما حرمها الإنسان من الأمان وجار عليها.

ومن لحيوانات الأرضية (الأفاعي والخلد والجربوع والقنفذ الخلد والسحالي والسلاحف والحرادين.

ومن الحيوانات البرية واتي لحمها الغزلان والأرانب وهي تعيش في بيئة صالحة في المدجنة وكانت كلاب ترافق الرعيان مع مواشيهم:

الماعز ترعى المراعي في جو مناسب وطعام وافر متوفر بشكل كبير في أراضي بيت أمر لكثرة لمراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال والماعز بحاجة ماسة الى تسلق الشجيرات لأكل ما طيب له لذلك نرى أعدادا منها تسرح في وتمرح في أراضي البلدة.

الأغنام: وتأتي الأغنام بعدها وقد اختصت بعض الأسر بتربيتها ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن وتدر على أصحابها المال الوفير، ولم اعثر على المعلومات التي تقدر عدد المواشي في بيت أمر منذ زمن بعيد، إذ حملت جمالهم المعدات الحربية والمؤن للمعسكرات الى جانب الذخائر والجنود هذا في الحروب وأثناء السلم تحمل البضائع التجارية من مكان لآخر وظلت المواصلات قائمة حتى اليوم فالسيارات على أنواعها تمخر بواديها ليل نهار تعد

بالمئات يوميا والحركة مفعمة بالنشاط وبشكل خاص عندما تبدلت وتطورت من قرية متواضعة الى بلدة حديثة تتمتع بكل مقومات البلديات.

الحمير والخيول والبغال: لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام واستبدلت بالسيارات والعربات التي تعمل بالوقود وبقي منها عدد قليل يوظف في الركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل اليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.

الأبقار: وتعتبر الأبقار من أغنى وحظائر عصرية تجمع بين الأبقار الأهلية والأجنبية وتبقى ترعى فمزارعها الخاصة ويقدم لها العلف في حظائرها لتعطي وتجود بحليبها بكميات لم يعرفها الفلاح من قبل وكلما تطورت العناية في التربية كلما زاد الإنتاج جودة وقيمة وهذا متوفر لدى بعض السكان في البلدة، ساعدت الظروف المحلية الطبيعية منها والبشرية من جودة مناخ وكثرة أشجار كلها ساعدت على وجود الإنسان في بقاع فلسطين منذ قديم الزمان وقد اشتهرت بلادنا فلسطين بتربية النحل زمن الكنعانيين إذ كتب عنها طبيب فرعون المصري سنوحي عندما هرب من الفرعون الجديد الى فلسطين وسكنها وتزوج كنعانية ووصف كرم أهلها وخيرات أرضها وقال عنها أنها أرض الخمر والعسل وقد اهتمت بعض الأسر من أهل البلد بتربية النحل بالطرق القديمة وقد تطورت الآن الى أساليب حديثة تدر أموالا على أصحابها من العسل المنتج أيضا **الدواجن:** إن طبيعة الحياة الريفية البسيطة ساعدت الفلاح على الاهتمام في تربية الدواجن منذ زمن بعيد لسد حاجاته من لحم وبيض ولم يكن بحاجة لشراء هذه المواد طيلة العام وكان إنتاجه من هذه المواد يزيد عن حاجته في غالب الأحيان فيبيع البيض والحمام والأرانب الى باعة متجولين ليأخذوها الى أسواق المنطقة في المدن أو عن طريق المقايضة المحلية. لقد كان الفلاح في بلدة إمر الخليل وضواحيها يعتمد كلياً في طعامه على الحمام ولم يخل بيت في القرية من طيور الحمام التي كانت تكفيه من لحوم أفراخها (زغاليل) المشهورة بلذة طعمها في طبخات متنوعة (الملوخية، شوي، ومحشية بالرز، مقلية تغطي على الرز المنسف).

كما يدخل الحمام وفراريج الدجاج في المسخن (المحمر)... الخ، وعلى هذا كان الإنتاج الحيواني يكفي حاجة السكان والفائض يعد للتصدير إما الحليب فقد اعتاد الناس في البلدة وبشكل خاص أصحاب المواشي إذ يحولونه الى ألبان (جبنة، لبن مجفف، زبدة، سمنة) ويصد الباقي الى أسواق عكا إذ تدر على أصحابها المال الوفير لشراء ما يلزم من معلبات وسكر وقهوة وألبسة ونفقات أخرى لتحسين حياة أسرته.



المراجع:

- (١) الموسوعة الحرة ويكيبيديا
- (٢) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٣٩٩ مصطفى الدباغ.
- (٣) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٤٠٠ مصطفى الدباغ.
- (٤) بلادنا فلسطين ج ٧ ق ٢ ص ٤٠١ مصطفى الدباغ.
- (٥) النباتات الطبيعية والطبية في بلاد الشام أحمد عويدات
- (٦) الحيوانات الطبيعية في بلاد الشام وصفي زكريا
- (٧) مركز يافا

الفصل الثاني: لمحة تاريخية

أصل التسمية:

أقيمت القرية على أنقاض بلدة "معاره" العربية الكنعانية ومعناها موضع مكشوف أو مكان عار من الأشجار، وقد ذكرها الإفرنج في العصور الوسطى باسم (Bethamen).

المساحة:

تبلغ مساحة أراضي بيت إمر ٤٠ كم مربع وعدد سكانها ١٩، ٨٩٢ نسمة عام ٢٠١٦. وكان لموقع بيت إمر الخليل منذ فجر التاريخ دوراً بارزاً في حركة المواصلات بين الساحل الغربي الى مناطق الداخل يؤمها التجار والرحالة والمسافرون الى جانب القوات العسكرية على مر العصور، إذ كانت القوافل المحملة بالعتاد والمؤن تحملها الجمال والبغال والحمير ثم العربات والسيارات هذه الأيام. تحمل البضائع القادمة من مصر براً والقادمة من شمال أفريقيا ودول أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط قاصدة الشرق نحو سورية والعراق، وقد عثر على مغر كثيرة فيها عظام بشرية تعرف يعود تاريخها الى خمسين ألف سنة، وهي آثار الإنسان القديم وقد وسع الإنسان هذه المغار التي حفرتها المياه بفعل التعرية والحت الكيماوي والتي تدعى بالحت الكارستي (حجر كلسي) ويتم ذلك عندما تنزل الأمطار على الجبال والهضاب المكونة من صخور كلسية فيمتص الصخر المياه كالإسفنج وتأخذ المياه بتحليل الكلس وتحدث تجاويف بالصخر تتسع مع الزمن وتمتلئ بالماء وعندما تصل الى طبقات كتيمة (غضار) تستقر وتأخذ بالاتساع تكون خزانات في جوف الأرض وتخرج على سطح الأرض لتشكل الينابيع مثل نبع العوجا الذي تصل مياهها الى مدينة يافا، وينطبق هذا على كل الينابيع في العالم. وكانت ينابيع بيت إمر مرضية يعتمد سكانها على مياه الأمطار يحولونها الى آبار جمع يستفيدون بمياهها للشرب وتنظيف البيوت والغسيل وري النباتات المنزلية. وقد زودت بلدة بيت إمر بالمياه العذبة من المناطق المجاورة لها في العهد الأردني ثم وصلتها شبكة المياه القطرية الإسرائيلية هذه الأيام.

ووجدت آثار هياكل بشرية في رسوبات العرق الأحمر جنوب غرب مصب اليرموك في نهر الأردن ويعود تاريخ هذه الآثار إلى ٦٠٠ ألف سنة-ثم إلى ٧٠٠ ألف سنة.(٢)

الزراعة:

مارس الكنعانيون زراعة الزيتون والكروم وقد عثر علماء الآثار على صهاريج وحفروا الصخر لعصر الزيتون والعنب في بعض الحرب في جبل صهيون وقد حفرت أنصاف دوائر في الصخر عمق الواحدة ٢٠ سم بجانبها حجر مصقول بشكل كرة لهرس الزيتون والعنب وقد وصف طبيب أخناتون سنوحي المصري نشاطات السكان (الكنعانيون) في صناعة الخمر وابداعهم فيها وكان ينتقل بين المدن والقرى يعالج الناس مجاناً إذ أحبه الشعب وأكرموه ولما رجع لم ينسى هذا الجميل وذكرهم في كتاباته ويذكر أنه تزوج كنعانية وله أولاد عاشوا بكنف الكنعانيين ١٥٠٠ سنة ق م.

ومن أقواله "أدناهم مليئة بالنبيذ شرابهم للنبيذ بدل الماء" كما زرع الكنعانيون التين وكانت محاصيله من جملة المحاصيل المهمة وكانوا يجففونه ويدخرون كما نفعل هذه الأيام. وقد جففوا العنب لصنع الزبيب.

الرمان: وكانوا يستخرجون من عصارتها نوع من الخمر كما كانوا يلونون معابدهم بالصباغ الذي يستخرج من قشره ويذهب البعض الى الهكسوس هم الذين ادخلوا زراعته من فلسطين الى مصر الى جانب الخيول والعربات التي تجرها الخيول.

الجميز: ما زال من الأشجار المعروفة وكان يكثر في الغور وقد قلت زراعته وهي أشجار صلبة خشبها من أجود الأخشاب وكانت تقس في مصر وبلاد العرب.

أهتم الكنعانيون بتربية حالتهم الاقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جدا حتى سمي وطنهم (الأرض التي تقيض لبننا وعسلا) وقد وصف المصريون خيرات فلسطين الزراعية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بقولهم (كانت بساتينهم ملائ بالفاواكه ووجدنا أدناهم (الخمر) في دناها كالماء في كثرها وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطئ).

استخدمها الكنعانيون المحراث الخشبي أول الأمر بعد أن جلب سكان بحر إيجه معهم صناعة الحديد أخذ الكنعانيون عنهم هذه المهنة وأدخلوها في سكة المحراث الخشبي والذي تجره الحيوانات، ومن الصناعات التي أبدع بها الكنعانيون صناعة الفخار بكل انواعه ثم الزجاج بكل اشكاله ونماذجه. (١)



المحراث الخشبي

لقد أتقن الكنعانيون مهنة البناء وبرعوا فيها كما قام الفينيقيون وهم كنعانيو الأصل بتجارة الأصبغة وأبدعوا في صباغة القماش وأدخلوا كل الألوان وزخرفتها واحتكر الفينيقيون صناعة الأصبغة التي استخرجوها من قواقع الأصداف الموجودة على نهر مصب نهر النعامين يستخرجون مادة أرجوانية اللون تدخل في صباغة الأقمشة القطنية والكتان والحرير.

وبكل الفنون التي لم يعرفها أحد قبلهم ومع أن الفترة الكنعانية التي مرت بهم في فلسطين كانت طويلة، فإن الاستقرار لم يدم ولم يتسن للبلدات الكنعانية أن تشكل وحدة أو إقليم لتشكل دولة إذ اعتبر الفراعنة فلسطين هي البوابة الرئيسة للعالم القديم، وأن كل الغزوات لمصر تأتي منها لذلك كان همهم بقاء فلسطين تحت نفوذهم وهذا ما حدث فعلاً إذ بقيت فلسطين تحت حكم الفراعنة مدة طويلة ولما جاء داوود وأسس مملكته لم تبقى مستقلة سوى فترة حكمه وولده سليمان ثم عادت لتتبع الحكم المصري. تعرضت فلسطين إلى مرور الجيوش الجارة من كلدان و آشوري وبابلين، حوثين وتلاقت في أسواقها بضائع الأمم من بلدان كثيرة وتلاقت الثقافات من لغات آرامية وسريالية وهيروغليفية وعبرانية ثم الإغريقية واللاتينية.

وبعد ظهور الإسلام أصبحت فلسطين جزء لا يتجزأ من الخلافة العربية الإسلامية وما يهمنها هو ما ازدهرت بها منطقة القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي من المؤن والمواد الغذائية لهذه القوات مما حرك التجارة وانعشها في تلك الفترة الخلافة العثمانية وأثرها على الفلسطينيين خاصة والمناطق العربية عامة.

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على أنهم مؤسسي الحضارات ودعاة التقدم والإنسانية وأخيراً الحرية والديمقراطية فهل كان لليهود حضارة؟

دعونا نستمع إلى أقوال علماء الغرب من غير العرب:

يقول غوستاف لوبون "ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات فالمدن كانت عظيمة لم يسورها وأباراً محفورة لم يحفروها وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها وتعلموا من الكنعانيين العرب الزراعة واقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف منها على سبيل المثال صناعة الفخار والخبز بالتنور وصنع الخمر وتربية النحل وصنع الثياب إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص كما كان قضائهم يلبسون نفس القميص". ويتابع غوستاف لوبون: ومن المعروف

اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين والذين أخذوا عنهم الكثير من حضارتهم وثقافتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية. (١)

ويتابع غوستاف لوبون ويقول: "لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ، ولما سارت لليهود مدناً في نهاية الأمر بيد أنهم كانوا غاية في العجز من أن يقيموا بأنفسهم مدناً ومعابدهم وقصورهم وقد اضطروا في إبان حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج فجلبوا البنائين والفنيين والعمال ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد".

ويقول سيغموند فرويد عالم النفس اليهودي "وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي إذ تغيرت أثناءها أحوالهم ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثرهم وتخلقهم بالبابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين فتولد عندهم عقدة النقص وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة نسبوا لأنفسهم كل عظيم".

ويقول المؤرخ فيليب حتي: "ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية وكان الموسيقيون الأول من الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم وعندما بدأ داود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاها سليمان من بعده لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن إتباعه سوى النموذج الكنعاني" ويتابع حتي أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلههم فينوس إله الخصب وكان الرجل يقطع حلمة بشره ليقدمها على المذبح وكذلك الفتاة العذراء كانت تفض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم". (٢)

ويقول العالم بروستد: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف مهمة. حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين" لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي

وبعد زمن معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم" كما هو حال المهاجرين العرب الى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم يكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم.

نحن لا ننكر ما وصل اليه اليهود في العالم و ما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ إذ تعرضوا للقهر والإهانة وبشكل خاص في القرون الوسطى وهم يعترفون وكتابهم عبروا بكتبهم بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجده في أي شعب ساكنوه إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة. أما الآن فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والإمبريالية الأمريكية.

وفي العهد اليوناني: قام القائد الإسكندر المقدوني بحروبه احتلال بلاد الشام وقضى على إمبراطورية الفرس ثم دخل مصر وبنى مدينة الإسكندرية وبعد موته تقاسم الحكم بعده بطليموس في مصر وسلوقس في بلاد الشام وقد تركوا حضارة جديدة قبل حكم الرومان تدعى بالحضارة الهلنستية.



(شكل ٦) تقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام إدارياً

(شكل ٧) التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي:



جاء الرومان وقسموا البلاد إدارياً الى ثلاثة أقسام:

كانت منطقة رام الله والبيرة من المراكز التجارية الهامة زمن الرومان إذ كانت الرامة تعبرها القوافل لوجود الخانات وينابيع المياه وكانت يسميها الرومان رامات أي بمعنى الحصن. وفي العهد الإسلامي كانت منطقة البيرة ورام الله ضمن جند الأردن وفي عام ١٠٩٩م وفعت تحت حكم الفرنجة واصبحت رام الله تحت حكم الصليبيين مستعمرة زراعية وسموها رماليا حيث يوجد بقايا برج صليبي في البلدة القديمة وقد حررها صلاح الدين الأيوبي عام ١١١٦م.

الفترة العثمانية: لا حاجة لبحث بلدة في ظل الحكم العربي الإسلامي لأنها حكمت كما حكمت البلاد التي أصبحت تحت الإمبراطورية الإسلامية. إذ كانت الفترة (١٥١٦-١٩١٨م) وهو انتهاء العهد المملوكي حيث كانت المناطق الواقعة الى الشمال والشرق في بلاد اشام والعراق باتجاه الأناضول وشرفه منذ مطلع القرن السادس عشر يسوده صراع على القوة بين قوى ثلاثة (الدولة العثمانية المتمركزة في إستانبول والتي امتد نفوذها على البلقان والأناضول خلال قرنين من الحروب والتوسع والدولة الصفوية الناشئة والقائمة في تبريز والتي حاولت التوسع بدورها وتستقطب القبائل التركمانية التي تعد من عماد قوتها ثم السلطة المملوكية الهرمة والتي كانت تحكم من القاهرة وتعاني الكثير من الضعف . وكانت المملكة الفاصلة الأولى بين هذه القوى المتصارعة بزعامة السلطان سليم الأول والدولة الصفوية بزعامة الشاه إسماعيل في (جالديران) قرب تبريز في ٢ رجب ٩٢٠ هـ الموافق ١٥١٤م وانتصر العثمانيون باستخدامهم للأسلحة النارية وبعد عامين انتصر العثمانيون في معركة مرج دابق في ٢٣ آب ١٥١٧م الموافق ٢٢ رجب ٩٢٢ هـ كانت هذه المعركة نهاية سلطة المملوكية.

إن ما يهمنا هو دراسة المنطقة في العهد العثماني لما تركه هذا الحكم خلال أربعة قرون من الزمن سادها التخلف والفقر وقضت على ما نصته الشريعة من أحكام وكثرت المنازعات والخلافات بين العشائر والعائلات في حفظ الطرق والمدن ثم جمع الضرائب للباب العالي وقد تطور هذا السلوك في الحكم إلى فساد الأخلاق - وكثرة التمرد وانتشرت الفوضى وعانى الفلاح من تسلط العشائر على القرى الزراعية من نهب الخيرات من انتاج زراعي وحيواني حتى أن بعض أبناء الأسرة تمردوا على أبيهم وأعانوا أعداءه عليه مثلما حصل مع الضاهر العمر. (٥)

وقد اهتمت السلطات بهذا الأمر وأعطته أهمية كبرى للسيطرة على حكم البلاد أولاً ثم وضع الضرائب التي تجمعها عن طريق الملتزمين من زعماء القرى والمدن التي أطلقت الدولة أيديهم في جمع الضرائب وحماية الطرق واستتباب الأمن.

وكان لهذه الإحصاءات إثر في معرفة النمو السكاني منذ القرن السادس عشر الميلادي كما صرنا نعرف عدد المسلمين -المسيحيين -اليهود في البلاد وتوزعهم.

وصف الرحالة الشيخ مصطفى البكري إلى بلاد قد كثر فيها التمرد وانتشرت الفوضى وعانى الفلاح من تسلط العشائر على القرى الزراعية من نهب الخيرات من انتاج زراعي وحيواني حتى أن بعض أبناء الأسرة تمردوا على أبيهم وأعانوا أعداءه عليه. (١)

اهتمت الدولة العثمانية في أول عهدها بتعداد السكان واعتمدت بتقديرات التعداد إحصاء البيوت في القرى والمدن وضرب عدد البيوت (X٥) أفراد باعتبار متوسط الأسرة في البيت خمسة أشخاص.

وبعد صدور فرمان الإصلاح عام ١٨٥٨م فقد حاولت الدولة حفظ الأمن وفتح المدارس في بعض القرى الكبيرة كما أن السلطان عبد الحميد الثاني الذي استلم الخلافة عام ١٨٧٦م وإصداره فرمان الذي يحرم فيه بيع أيشير من أراضي فلسطين لكن الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار استطاعت بطرق ملتوية استغلال القنصليات الأجنبية شراء أراضي في فلسطين بلغ عددها ٣٠ ألف دونم.

١. إبتاح تكفا: ومعناها (باب الرجاء) أقامها الصهاينة عام ١٨٨١م على أراضي ملبس قرب يافا وعلى قسم من الأراضي البالغة عشرة آلاف دونم اشتراها الصهاينة من مالكة اللبناني (تيان).

٢. ريشون ليتسيون: أقامها الصهاينة عام ١٨٨١م على أراضي (عيون قارة) العربية وتبلغ مساحتها ٢٣٤٠ دونم حجزتها الحكومة التركية وعرضتها للبيع بالمزاد العلني بسبب عجز أهلها أصحابها العرب عن سداد الضرائب للحكومة التركية فحاول مهاجر صهيوني من الروس (ليغونتين) شراءها لكن الحاكم العسكري التركي رفض استناداً الى قرار السلطان بيع الأراضي في فلسطين لليهود، فقام القنصل البريطاني في يافا وهو الحاخام أمزيليلغ بشراء تلك الأرض من الحكومة بصفته قنصلاً بريطانيا بسعر ١٥ فرنكاً للدونم الواحد وقام بعد ذلك بتحويلها الى الصهاينة وأقاموا عليها مستعمرتهم ريشون ليتسيون.

٣. مستوطنة روشينا: أقامها الصهاينة على قطعة أرض يملكها يهوديان من يهود صفد فريدمان وفشتاين من ضمن أراضي قرية الجاعونه سبق أن ابتاعها من مالكة اللبناني ثم باعها الى روتشيلد عام ١٨٨٢م حيث أقام عليها ٥٠ عائلة من مهاجري رومانيا.

٤. **زخرون يعقوب:** (زمارين) أقيمت عام ١٨٨٢م على قطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ دونم اشتروها من أحد المستثمرين الفرنسيين وتقع أراضيها على جبل الكرمل الجنوبي لحيفا وكان الفرنسي يزرعها بالعنب للتصدير الى معامل الخمرة وتم بيعها عن طريق القنصل الألماني والنمساوي يدعى إميل فرانك وكان الى جانب كونه قنصلاً كان وكيلاً للسفن البريطانية التجارية في الموانئ العربية - وزخرون يعقوب هذه سميت على اسم جيمس يعقوب روتشلد ترتفع عن سطح البحر زهاء ١٧٠ متراً.
٥. **مستوطنة نس تيون:** أقامها الصهاينة عام ١٨٨٣م على مساحة ٢٠٠٠ دونم من سهل الحولة اشتروها من قنصل فرنسا ووكيل القنصلية في صفد ويدعى يعقوب عبو وسبق له أن ابتاعها من مالكة اللبناني (تيان) وأقام فيها مهاجرين من بولونيا.
٦. **مستعمرة المطلة:** أقامها الصهاينة عام ١٨٨٣م على أراضي قرية عقرون قرب يافا واشتروا أراضيها من مالكة اللبناني (تيان).
٧. **مستعمرة عكرون:** (مركز بيت بانيه) أقامها الصهاينة عام ١٨٨٣م على أراضي مقرون قرب يافا واشتروها من مالكة اللبناني (تيان).
٨. **مستوطنة غدير:** أقاموها عام ١٨٨٤م على أراضي قرية قطرة قضاء الرملة اشتراها القنصل الفرنسي في يافا.
٩. **مستوطنة مائير طوقيا:** أقامها الصهاينة عام ١٨٨٧م قرب يافا واشتروا أرضها من مالكة اللبناني (تيان).
١٠. **مستوطنة شلومو:** أقاموها عام ١٨٨٩م على نفس الأرض التي أقاموا عليها زخرون يعقوب والتي اشتراها المالك الفرنسي جنوب حيفا على الكرمل.
١١. **مستوطنة الخضيرة:** أقاموها عام ١٨٩٠م على أراضي الخضيرة العربية على ساحل جنوب حيفا.
١٢. **مستوطنة شافية:** أقاموها عام ١٨٨٩م على أراضي زخرون يعقوب.
١٣. **مستوطنة دحقوت:** أقاموها عام ١٨٩٠م اشتروها من مالكة اللبناني (تيان) جنوب حيفا.
١٤. **مستعمرة مشمار هياردن:** اشتروها من ملاكها اللبنانيين رب الحدود السورية الشمالية مع فلسطين عند جسرينات يعقوب.
١٥. **مستوطنة سوتا تحتين:** أقيمت عام ١٨٩٤م قرب مدينة القدس على أرض يملكها اليهودي البريطاني (مونتغور).

١٦. مستعمرة غان شيموئيل: أقاموها عام ١٨٩٤م وكان يقيم في هذه المستعمرات الأربعين حوالي ١٢ ألف مستوطن. حتى عام ١٩١٨م وهو تاريخ الانتداب للصهيونية أكثر مما تتوقع في سلب الأراضي وفتح أبواب الهجرة على مصراعيها وسهلت للصهيونية كل مقومات وجودها الاقتصادية والمؤسسية والمنظمات والعصابات العسكرية حتى باتت دولة إسرائيل داخل الكيان البريطاني وقد عملت حكومة الانتداب كل ما وسعها لتقدم ما أنجزته هذه الحكومة الظالمة لشعب فلسطين من قهر وقتل وعقاب. لقد قدمت الحكومة البريطانية كل ما بنته من موانئ ومطارات ومصافي بترول ومعسكرات كانت تأوي ٨٠ ألف جندي وطرق معبدة وخطوط حديدية لم توجد مثلها بالشرق الأوسط وسلمتها على طبق من ذهب مطلي بدماء أبناء فلسطين دون وخز ضمير أو مسحة إنسانية. لقد أوفت بريطانية المجرمة بوعدا المشؤوم وهي التي أقامت دولة إسرائيل بكل مقوماتها ليس حباً باليهود، بل كرهاً للعرب.

المراجع:

- (١) العرب واليهود في التاريخ د: أحمد سوسة
- (٢) تاريخ سورية القديم ج ١ فيليب حتي
- (٣) العرب واليهود في التاريخ د: أحمد سوسة العارقي
- (٤) تاريخ الحضارات د: جورج حداد
- (٥) الموسوعة الفلسطينية خاص ج ٢ د: عبد الكريم رافق

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية

(زراعة صناعة تجارة سياحة)

الزراعة في البلدة

كانت الزراعة قبل زمن الحكم البريطاني نشطة، فالعمالة كانت متوفرة في العقد الأول من حكم بريطانيا لفلسطين، فالفلاح يعمل في أرضه وإنتاجه يباع بالأسواق ويحصل على المال لشراء حاجاته من ثياب وسكر وأرز وقهوة الى جانب الكبريت ووقود الكيروسين وبالمقابل يبيع الفلاح غلات أرضه من قمح وشعير وعدس وذرة وزيتون الى جانب ما أنتجه من ألبان (جب، زبدة، سمن)، ومن الدواجن (الفراخ والبيض) ومن الأغنام والماعز الكثير يزرع الأرض بالحبوب في أواخر الخريف ويحصد ما زرع في أواخر أيار ويجمع الحبوب بعد درسها في أكياس من القنب ويحفظ قسم منها في بيته والباقي يطرحه في السوق للبيع وكذلك الحال للبقول من (عدس وفول وحمص وسمسم وكرسنة وغيرها)، وكان الفلاح في بجوحة من العيش الكريم وفي العقدين الأخيرين من حكم الانتداب لفلسطين تغيرت الأحوال لصالح الصهاينة لأسباب أجزها:

١. محاربة الفلاح في أرضه إذ سنت قوانين لتحويلها الى اليهود منها أن كل أرض لم تزرع خلال سنتين تصادر ثم تحول الى اليهود أو أن صاحب الأرض لم يفلحوا أرضهم خلال سنتين تصادر لصالح المستوطنين اليهود وكذلك الأراضي لم تدفع الضرائب والرسوم.

٢. إغراق الأسواق بالحبوب المستوردة بأسعار دون الأسعار السابقة دون حماية المنتج الفلسطيني مما أفقر الفلاح أو مالك الأرض العربي.

٣. جلب العمال الفلسطينيين العرب من مزارعهم ليعملوا في بناء الطرق والموانئ والمعسكرات للجيش البريطاني الذي قدر عدده ٨٠ ألف جندي في كل البلاد وعرضها، وقد باتت فلسطين في ذلك الوقت مثلها كمثل دول الخليج هذه الأيام بحاجة الى الأيدي العاملة والوظائف المتنوعة.

٤. إقامة المؤسسات والدوائر الحكومية من مراكز للبوليس ودور الحكم وسمحت للصهيونية إقامة دوائرهم الخاصة وجمعياتهم ومؤسساتهم حتى باتوا يعيشون في دولة في داخل دولة الصهاينة فيها دون منح الفلسطينيين أي حق، وقد مر علينا هذه الأيام مئة عام منذ وعد بلفور في ٢ / ١٩١٧ حتى اليوم ٢ / ١٠ / ٢٠١٧ ونحن نعاني نظام تسلطي إسرائيلي من احتلالات للأرض وقتلهم لكل معارض ونهب أموال أهل البلاد وامتلاء السجون وتهجير الناس بالجملة واستقبال الأعراب وتوزيع الغنائم بدون حق أو وخز ضمير أمام مسمع وحضور الأمم المتحدة التي

وظفتها لهم الدول الاستعمارية والدولة الإمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية من خطط الاستعمار البريطاني وما خطط له وجاءت الإمبريالية الأمريكية بخططها الشيطانية في إكمال المشوار في تدمير العرب ودينهم الإسلامي في محاربتهم بعضهم لبعض وتوظيف أسلحتهم ضد شعوبهم وهدم بيوتهم بأيديهم ليس حباً باليهود بل كرهاً وحسداً للعرب والإسلام.

لقد لعبت عكا ومدنّها وقراها دوراً بارزاً في اقتصاد سكانها ورفاهية أحوالهم لمعاشية رغم ثقل الاحتلال الجاثم فوق صدورهم ينغص أفرانهم ويدمي قلوبهم ويدمر بنيانهم الذي جمعه وأقاموه بعرق الجبين وجهد الأكباد والقلوب.

فقد اشتهرت بيت أمر بتينها وزيتونيتها وعنبها وبقولها من (عدس وفول وحمص وسمسم) ومن الخضار كالبنندورة والباذنجان والكوسى والخيار و القثاء الى جانب السعتر والبقدونس والكزبرة والنباتات الطبيعية الطبية التي ذكرتها ومن الألبان الكثير تدر على مربى المواشي من لأغنام وأبقار وما تصنعه من لبن رائب ولبن جامد وجبنة وزبدة وأسنان وقد أقيمت بالبلدة بعض المعامل لإنتاج مثل هذه المواد، ينشط تجار البلدة ببيعها في الأسواق. لقد قام بعض الفلاحين في البلدة في بناء حظائر للدواجن وتربية النحل في صناديق خاصة وتقديم الغذاء اللازم لها وقد تضاعف الإنتاج وتحسنت جودته وزاد المردود المادي كما بنيت البيوت البلاستيكية لزراعة الخضار بتنقيط المياه وتركيب السلام لتسلق النباتات من بندورة وباذنجان وفول وحمص وبازيلاء وغيرها الكثير ، وقد أبدع الفلاح في بلدة بيت أمر بزراعة الأزهار والحرص على تربية الأجود منها . لقد بدأت الصناعة في بلدة بلاطة تعتمد على المواد المتوفرة وأغلبها تجلى بمعامل المواد الغذائية من منتجات الألبان وحفظ اللحوم والخضار والبيض بحافظات البلاستيك والكرتون وخزنها بالثلاجات كما تم حفظ البقول الطازج منها بأكياس من النايلون والبلاستيك وتزويد المحلات التجارية (السوبر ماركت) المتوفرة بالبلدة ويمكن للفرد الذهاب الى مثل هذه المحلات ليشترى ما يريد غذاء وملابس وأدوات كهربائية ومنظفات وملابس ربات البيوت ماكن يعانيه من جهود في توفير الطعام من رغيف الخبز وطبخ وغسيل ووقود حتى صناعة أطباق القش من سيقان القمح والشعير وتطور طبق الطعام من وضعه على الطبلية الى طاولة يوزع عليها الطعام تحيطها الكراسي لتناول وجبة الطعام بدل طيق القش الذي كان يوضع على الأرض يلتف حوله أفراد الأسرة جلوساً وأكل وجبتهم . لقد عمل أهل البلدة بشكل أساسي في الزراعة وتربية الحيوان والدواجن من حبوب وبقول وزيتون وتين وتربية النحل والدواجن ومن منتجاتها ما يلي:

١. الحبوب: لقد سلخ المحتل أكثر من نصف أراضي القرية وقد عوض الناس هذه الخسارة ببناء المصاطب على سفح المرتفعات واستغلوها بزراعة الأشجار المثمرة من تين وزيتون ولوزيات وفاكه أخرى، كما خصصت الأراضي

- السهلية بزراعة القمح والشعير والبقول واستخدموا الأدوات الحديثة وطوروها لمضاعفة الإنتاج واستغلوا القمح إنتاج الطحين والشعير لغذاء الحيوان الى جانب مخلفات هرس الحبوب من القش (تب) لخلطه بالحب لأجل الحيوانات.
٢. البقول: إنهم يجمعون المص والفل والعدس والسمسم بعد جفافها ويحرقون سنابل القمح في شهر نيسان بعد نضوجها ويشعلون النار وعلى لهب النار يلوحون السنابل حتى تحرق النار شعرات السنابل وبعد أن تبرد السنابل يفركونها بأيديهم ويحصلون على الفريكة بينما يسلق القمح وبعد ان يستوي بفعل الحرارة ويسمى (البرغل) ويطحن العدس والفل لإنتاج شوربة العدس والفل لأجل طبخ البصارة مع الملوخية.
٣. يلعب التين دورا كبيرا في حياة أهل بيت أمر لتعدد أصنافه وجودة حلاوته تقدم الأطباق على الموائد ويصدر الكثير منها طازجا في الأسواق المحلية ثم إلى مدينة عكا والباقي يجفف للمونة أو يباع في الأسواق ووضعه في مغلفات تصدر للأسواق أيضا.
٤. الزيتون: لقد احتلت أراضي الزيتون في البلدة مساحات واسعة وفي البلدة ما يزيد عن خمس عشرة ألف شجرة زيتون تعيش على الأمطار الشتوية وتثم في أيلول يتم قطفها في شهر تشرين الأول وتنقل الى المعاصر حيث بهرس حب الزيتون ويوضع في قفف مصنوعة من القصب على شكل دولاب تم توضع فوق بعضها ويضغط المكبس على فيعصر الزيتون بالقفف ويسيل في خزان معدني من الصفيح مثل لدولاب ويسيل الزيت في بئر فيه خزان مي أو تصب في براميل أو خزانات بعد أن تعصر وتفرغ من الدواليب ويبقى مخلفات في القفف يسمونها (الجفت) تستخدم في خليطة طعام الحيوانات أو وقود للطابون خزانات أو براميل ثم تفرغ القفف من مخلفات تدعى (الجفت) تستعمل للوقود وطعام للحيوانات مخلوط بمواد أخرى.

الصناعات في بلدة بيت أمر

اهتم سكان البلدة بصناعة الفخار من القدم وتدل الآثار والحفريات على نماذج منها، وقد اعتادت نساء القرية صناعة أطباق من سيقان القمح والشعير ونماذج أخرى من السلال (مشكول- قبة- وترويجه توضع فيها خميرة العجين تتسع لنصف كغ بينما القبة تتسع الى اثنان ونصف كغ) وأطباق القش باتت تعلق على جدران البيوت منها الواسع وقد أبدعت النسوة في صناعة هذه النماذج الملونة وحل محلها طاولات السفرة تحيطها الكراسي .إلى جانب كانت المرأة عند الفراغ تحيك بالإبرة والسنارة الكثير من الطواقي والكوفيات والكنزات وألبسة الأطفال والشالات النسائية والزناير الجرابات رغم جهودها الفائقة بتربية الدواجن للإف" وجود ورشلت عديدة لتصليح المعدات الميكانيكية مثل السيارات والدراجات والسخانات والغسالات والأجهزة الكهربائية وقد استثمر بعض سكان البلدة أيضا الأحراش في صناعة الفحم وآخرين في

صناعة الكلس حرفتي الكلس والفحم ١ للتان وفر الله لهذه البلدة كل مقوماتها من حجر وشجر لذلك وجدت صناعة الكلس من جمع الحجارة ووضعها في حفرة واسعة بشكل قبة ثم وضع الأخشاب بداخلها وإيقاد النار فيها فيحترق الحجر وتبقى النار مشتعلة والصخر يزداد حرارة ثم تطمر قبة الحجر بالتراب وفي اليوم الثاني وبعد ذهاب الدخان يزاح التراب عن سطح الحجارة ويصبح الحجر جاهز التصنيع ثم تعبأ الحجارة بأكياس وهي حية وتوضع في مخازن جافة بعيدة عن الرطوبة وعند بيعها يحذر استخدامها بدون وضعها في برميل فيه ماء حتى يخفف الماء من حرارتها التي تبلغ درجة الغليان عند وضعها ثم بعدها تنقل ويخفف الكلس للاستعمال أما الفحم يجمع الحطب من أركان الحرش ويقطع ثم يوضع في حفرة واسعة ويترك له فجوة توقد في داخلها النار فيشتعل الخشب وتذب النار فيه وعندما يرى العامل أن النار نالت القبة من جميع أركانها يطمرها بالتراب أيضا وتبقى النار تعمل ببطء حتى يخبو النار وانقطع الدخان عندها يكون الفحم قد أصبح جاهزا وفي اليوم الثاني يزاح التراب ويجمع الفحم ويعبأ في أكياس من القنب ويؤخذ لحزنه في مناطق جافة بعيدة عن الرطوبة ونقلها الى الأسواق لبيعها هناك وكم كانت المكالس ومصانع الفحم من الصخور لبنا البيوت التي ترتاح لمنظرها العيون والصدور وهناك ورشات البناء والعمران وعددها مناسب في الجودة من متانة وجمال وقد زاد جمالها وروعها أسقف القرميد الأرجوانية التي زادت الشوارع المنظمة من سحر لمنظر وجودة الطقس المحبب للقريب والبعيد مم عل السكن راحة للسائح وطموحا للتجار والأغراب لقد توفرت لبلدة بيت إمر كل عوامل السياحة من أرض ومناخ ومواصلات وتجمعات بشرية وأحراش بما في ذلك غناها ولولا الاحتلال لكانت إمر الخليل من أوائل البلدات جاذبة للسياحة.

المنتجات التقليدية في إمر الخليل:

من الصناعات التي قام بها الإنسان تعتمد على المواد الأولية في بيئته مثل:

الفخار: مارس بعض الحرفيين هذه المهنة منذ القديم تعود لآلاف السنين لتوفر التربة الطيبة والخبرة المتوارثة والتطوير والإبداع في إنتاج أنواع كثيرة ومتنوعة منها الصغير حجما والكبير وقد اجتذبت الى صناعتها الزخرفة والألوان كما ان بعضها طلي بالبورسلان.

النحاس: وهي أولى من عمل بها الإنسان العربي الفلسطيني في أريحا وغزة ثم انتشرت رقائق النحاس ليعمل بها آلاف العمال لصنع الطناجر والأواني من أدوات مطبخ وجرار وباريق. بينما ركزت صناعة الزجاج في

بعض المدن مثل عكا والخليل كما ترك الأجداد لنا أسواقا خاصة منها سوق النحاسين. كما صنعوا لملاعق بأنواعها وأدوات القهوة والمواقد وأدوات أخرى كبيرة الحجم مثل (الدست)

الحداثة: إذ اهتم الحرفيون بصناعة سكة المحراث الخشبي ثم السيوف والسكاكين وغيرها كثير وقد تطور الإنتاج بعد دخول الآلات الحديثة

النجارون: يكملون صناعة المحاريث الخشبية ثم صناعة الموييليا والأبواب والنوافذ وقد تطور إنتاج أيضا بعد دخول الآلات والتكنولوجيا.

ومن الصناعات التقليدية: هي الأدوات المصنوعة من القش (سيقان سنابل القمح والشعير)

١. **الطبق:** وهو دائري الشكل سيقان السنابل مستدير متنوع الأشكال والأحجام منها الطبق الكبير يبلغ قطره ٩٠ سم وآخر متوسط يبلغ طره نصف متر وتتفنن النسوة في صناعته ويدخلن عليه الألوان ليزدنه روعة وجمالا وكن يتباهين في صناعته وزخرفته ليصبح لوحة فنية نموذجية تعلق على الحيطان.

٢. **المشكول:** وهو وعاء من القش يستخدم في حفظ الأشياء وله يد يحمل بها وكأنه حقيبة للمرأة يوضع فيه بعض الطعام ويلقى عاليا للحفاظ عليه من التلف يتسع لحفظ خميرة العجين القادمة.

٣. **القبة:** وهي إناء من القش شكلها شكل الزبدية تحفظ فيها خميرة العجين ولعل نماذج كثيرة متنوعة الأحجام والزخرفة ويمكن إعداد معرض كامل منها ومن الصناعات الغذائية الموروثة، أيضا صناعة المربيات.

- مربى العنب ومن عصير العنب يصنع الخمر والخل.
- رب لبندورة تعصر البندورة تغلى على النار لتصبح لزجة وتصبح رباً

• رب الخروب: تدق قرون الخروب وتوضع في الدست ويسكب عليها الماء حتى يغطي الخليط كله بالماء ويترك يوم كاملاً فيذوب السكر الذي في الخليط ويعصر جيداً ثم يؤخذ بعد نشله من الماء في الدست ويجفف ثم يحفظ في أكياس ليقدّم علفاً للحيوانات وموقد للطوايين.

ومن الناس ما يأخذون العصير قبل غليه ويبيعهونه في الأسواق مثل السوس وهو أطيب منه لذة إنعاشاً. وإلى جانب ذلك يصنعون الفواكه المجففة مثل تخفيف التين إذ يحول إلى (قطين) والسفرجل والأجاص والمشمش ثم التفاح والخوخ.

٤. ومن **الخضراوات** انتشرت الكونسروة صناعية في حفظ البقوليات بأنواعها خاصة يعد انتشار أجهزة التبريد فتحفظ المواد في أكياس بلاستيكية لمدة طويلة.

وقد عملت حكومة الانتداب على تحقيق وعد بلفور الإنكليزي بإقامة دولة إسرائيل عن طريق زرع شعب غريب في قلب الأمة العربية وتخريب اقتصادهم وإفقارهم وجعلهم تابعين لبريطانيا ومن بعدها الإمبريالية الأمريكية وذلك ضمن مخطط بريطاني ترسمه وزارة الاستعمار البريطانية عام ١٩٠٦م إذ كانت بريطانيا تضع كل مئة سنة قادمة وفي عام ١٩١٧م صدر وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وهذا ما أعززه اتفاق فرنسا وبريطانيا على اقتسام أملاك الدولة العثمانية المريضة وتم لهم ذلك بتعاونهم مع العرب الذين تجاهلوا ما يحيط بهم من غدر وسوء حال وانكشف الغطاء وكوفئ العرب بالاحتلال على أن تحتل فرنسا سورية ولبنان وتحتل بريطانيا فلسطين والأردن والعراق ، إليك عزيزي القارئ ما قدمته بريطانيا للصهيونية في تحقيق الوعد الظالم:

١. منح بريطانيا للصهيانية أراضي أملاك الدولة العثمانية (٦٥٠٠٠٠٠ دونم)
٢. من بريطانيا للصهيانية الأراضي المشاع قدرها (٤٠٠٠٠٠٠ دونم)
٣. فرض الضرائب على الأراضي التي لم تزرع خلال عامين والرسوم الجمركية على المنتج
٤. إغراق الأسواق بالطحين الرخيص لتدمير ما جمعه الفلاح من حبوب.
٥. سن قوانين سلخ الأراضي من أصحابها إذا لم تزرع الأرض سنتان.
٦. العمال والمزارعين العرب بالعمل بمشاريع الدولة وابعادهم
٧. استثمار أراضيهم حتى يسهل على الصهيانية ضم هذه الأراضي لهم.

٨. بناء المرافئ البحرية وهو ميناء حيفا الذي اعتبر ثاني مرافئ البحر الأبيض المتوسط بغد مرفأ مرسيليا بفرنسا.
 ٩. بناء المطارات المدنية مثل مطار اللد المسمى الآن (مطار ابن غوريون) وهناك مطار قلنديا المدني في منطقة القدس وقد كان هذا المطار هو الوحيد للأردن قبل إقامة مطار عمان سابقا (مطار ماركة).
 ١٠. مدت بريطانيا شبكة من الطرق المعبدة لم تشهد منطقة الشرق الأوسط كلها منها الطولاني والطرق العرضانية التي تربط الساحل بالداخل.
 ١١. ربطت بريطانيا فلسطين بشبكة خطوط حديدية عريضة تربط سورية بفلسطين عن طريق لبنان كما ثم وصلتها بمصر جعلت الشبكة الحديدية المركزية في اللد أيضاً.
 ١٢. أقامت بريطانيا مصفاة بتزول في حيفا وكانت من أوائل المصافي في المنطقة تصلها الأنابيب من كركوك في العراق.
 ١٣. أقامت بريطانيا وبنّت عشرات من مراكز البوليس في طول البلاد وعرضها كما بنت السجون والمعتقلات.
 ١٤. بناء المعسكرات في فلسطين لتتسع جيشها الذي بلغ عدده ٨٠٠٠٠ جندي.
 ١٥. أقامت الدوائر الحكومية والمؤسسات وعطلت عمل المصارف العثمانية التي كان تقرض الفلاح وتساعد في استثمار أرضه.
- هذا قليل مما قدمته بريطانيا للدولة اليهودية العتيدة على حساب أهل فلسطين من تدمير بيوت وإعدام المئات وقتل وجرح خمسين ألف عربي خلال حكمها للبلاد الى جانب إفقار هذا الشعب وتشريده والحكم عليه بالموت حتى وقتنا الحاضر. لقد كانت دولة إسرائيل موجودة ضمن دولة الانتداب وبعد جلائهم عام ١٩٤٨م كانت دولتهم بكل مرافقها وكيانها ومؤسساتها ومصانعها ودوائر كاملة غير منقوصة للكيان الإسرائيلي على جماجم الضعفاء ودماء الأطفال البريئة من شعب فلسطين.

المراجع:

- (١) الموسوعة الفلسطينية خاص ج ١ ٧٥٣ رجا الخالدي
- (٢) الموسوعة الفلسطينية خاص ج ٢ ص ٢٥٩ أحمد طرين
- (٣) الموسوعة الحرة ويكيبيديا
- (٤) العرب واليهود في التاريخ أحمد سوسة.

الفصل الرابع: التعليم وأعلام بيت أمر الخليل

لم تحظ قرية أمر الخليل على التعليم زمن الحكم العثماني كغيرها من القرى في منطقة الخليل مثلها كمثل كل القرى التي كانت تحكم من قبل السلطة العثمانية ولم أعثر على دلالات عن التعليم زمن الحكم العثماني سوى سalmات كانت تصدرها هيئة المعارف أخذت منها مصدرا توضح فيه أعداد الطلاب وقد استعنت بسلمناه لمنطقة عكا كنموذج لحالة التعليم في سناجق أخرى وقد بدأت مراسيم التعليم من قبل دائرة التعليم العثمانية (السالنامة) وزارة المعارف بأول مرسوم عام دراسي ١٨٨١/١٨٨٢م

يبين الجدول عدد المدارس (المكاتب) وعدد الطلاب:

المكان	عدد الطلاب	مجموع
	ذكور	إناث
قرية الرامة	٤٠	٤٠
قرية كفر ياسيف	٩٠	٩٠

جدول يتناول المدارس غير الإسلامية في لواء عكا

العدد	المدرسة
٨٠	روم أرثوذكس
٩	عكا
١٢	رشدي

التعليم زمن الانتداب البريطاني على فلسطين:

لقد تأسست مدرسة ابتدائية في كفر قدوم حتى الصف الرابع عام ١٩٣٨/١٩٣٩ وفي عام النكبة لم تكن المدرسة لم تكتمل الصفوف الابتدائية فيها.

لم تكن دولة الانتداب جادة في تعليم أبناء فلسطين لأن هدفها الأسمى كان تحقيق وعد بلفور في إقامة دولة يهودية في فلسطين وركزت بريطانيا على مد الطرق المعبدة منها والحديدية ثم إقامة المطارات والموانئ البحرية ومصفاة بترول حيفا ثم إنشاء طرق معبدة للمناطق الاستيطانية ومستعمراتهم وبناء المعسكرات لإيواء أكثر من ٦٠ ألف جندي بريطاني وكانت ميزانية التعليم متواضعة نصفها يدفعها أهالي الطلاب من شعب فلسطين ومن الأبحاث التي أجرتها على دور إمر الخليل كفر قدوم في التعليم وجدت أن أهلها مولعين بالتعليم والتعلم لم تبذله دائرة التعليم فيها من حرص لبناء جيل واع نشط عن طريق دراسات تربوية ذكية ومعمقة تشارك بها الأسرة معززة بالوسائل المطلوبة تتماشى مع المنهاج التي ترعى سلوك الطلاب وبناء الأفضل لتربيتهم وقد أعدوا الكفاءات من المعلمين والمعلمات وربطوا بين المدرسة والمجتمع كما أعدوا الطريق لبناء أجيال تقود المجتمع الى التمسك بهويته والتواصل مع المجتمعات الأخرى بدون تعصب وتميز.

هناك العديد من المدارس في مراحلها الثلاث مثل:

العدد	المدرسة
١٧٢٤	مدارس ابتدائية
٨٠٥	مدارس إعدادية
٦٠	مدرسة ثانوية
١٥٠	مدرسة ثانوية فنية تكنولوجيا

كما يوجد من حضانات الأطفال:

الحضانات	عدد الاطفال
الحضانات التمهيديّة وحدة ما قبل المدرسة إجمالي روضة أطفال الحضانات	٥٠٠ طفل وطفلة
روضة أطفال لغوية	١٠ طفل وطفلة
رياض أطفال إلزامية ١٠ حضانات	مجموع عدد طلابها وطلاباتها ٣١٣ طالبا وطالبة

الانتداب البريطاني:

حكمت بريطانيا فلسطين ٣٠ عاما تغدق الأموال على مشاريع ضخمة حيث بنت ميناء حيفا بتكلفة ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف جنيه سترليني وقيمة الجنية كانت ليرة إنكليزية ذهب كما بنت مصفاة بترول حيفا وكانت أضخم مصفاة في الشرق الأوسط مدت لها خطوط النفط من كركوك بالعراق الى حيفا عبر سورية والأردن كما بنت مطارات مدنية وعسكرية منها مطار اللد الذي سماه الصهاينة مطار بن غوريون في مدينة اللد والجدول التالي يرينا ميزانية التعليم خلال أربع سنوات متتابة .

العام الدراسي	مشاريع جديدة	نفقات ادارية	نفقات عسكرية	دائرة المعارف
١٩٣٨/١٩٣٩	%٤٤	%٣٢	%١٩	%٥
١٩٣٩/١٩٤٠	%٤٦	%٣٠	%١٨	%٦
١٩٤٠/١٩٤١	%٤٢	%٣٥	%١٨	%٥
١٩٤١/١٩٤٢	%٤٣	%٣٢	%١٨	%٣

من دراسة الجدول نرى التفاوت في النسبة المئوية لدائرة المعارف (التعليم) وكيف انخفضت ميزانية التعليم على نفقات الدولة حيث دمر الألمان لندن بغارات للطيران فجرى التخفيض بالتعليم وليس في مجالات ثانية مما يدل على نية بريطانيا مساعدة الفلسطينيين بل حاولت في سياستها إذلال شعب فلسطين فقتلت الآلاف وسجنت عشرات الآلاف وجرحت مثلهم



ودمرت البيوت ومنع التجول في القرى إذ كانوا على الدوام يغيرون على القرى بمجرد وصول إخبارية عن المقاتلين وكانت الشانق في سجن عكا مفتوحة لإعدام واحد أو اثنين أيام الثلاثاء من كل أسبوع.

الفصل الخامس: الفولكلور الفلسطيني في بيت أمر الخليل

(السكن الديوان التقويم الشعبي الطب الشعبي التعاون والتشاؤم والأمثال)

إن كل المدن الفلسطينية والتي أصبحت مدناً فإن الدراسة هذه تحمل جيلين مخضرمين كل منهما له خصائص بيئية مختلفة نسبياً ففي القرن العشرين وفي مطلع القرن العشرين كانت سخنين قرية متواضعة بيوتها متراكمة مبنية من الحجر والطوب سقوفها من خشب لتوفر الأجرار شوارعها ضيقة متعرجة لعرقلة الخيالة عند الغزوات المياه خارج البيوت في الآبار أو الينابيع وتحمل بالجرار أو القرب إلى البيوت عن طريق الحيوانات أو بحمل الجرار على رؤوس النسوة ومشكلة جلب الماء كانت معاناة كبيرة حقاً والعائلة الكبيرة يلزمها خمس تنكات أوسع منها للشرب والغسيل ومعنى ذلك أن يقوم الرجل أو المرأة بجلب الماء مرتان في اليوم وكذلك بالنسبة إلى إعداد الرغيف والطعام وإطعام الدواجن والحيوانات وتأمين الخشب للوقود وإشعال الطواوين وتأمين المونة من عدس وحمص وفول وبرغل وفريكه ثم تصنيع رب البندورة ورب الخروب وعصيره ومربيات المشمش وغيرها وتحضير الألبان من حليب ولبنه وجبنه وزبده وسمنة. إلى جانب صناعة الصابون ونرى أن المرأة تقوم في بيتها بكل هذه النشاطات دون كلل بالإضافة إلى تربية الأبناء ورعايتهم وحل بعض المضاعفات وما أكثرها. وفي المساء تجلس الأسرة حول الموقد إن كان الفصل شتاءً أو على الوسائد والفرش صيفاً يستمعون إلى قصة يحكيها معمر أو معمرة الكل ينصت بشغف واهتمام أو أن يجري حديث بين رب الأسرة وزوجته أو ابنائه الكل ينصت ولن يستغرق هذا زمناً طويلاً ليدب كل إلى فراشه وهكذا كان الناس يعيشون حياة طبيعية سهلة ليس فيها هم وتعقيدات حياة بينما يذكر المخضرمون الآن بتباعد أنماط المعيشة والحياة إذ انتقل المرء من السهر على ضوء الفانوس إلى الكهرباء فأصبح البيت كله مضاء والجلوس على الفرش من موبيليا (كنبات-كراسي-ومقاعد خشبية) شبكات تدفئة عصرية وشبكة ماء تضم المطابخ والحمامات وتمتد حتى إلى الجنائن والحدائق ولم تعد المرأة مسؤولة عن تصنيع الخبز وتجهيز الطعام فالغسالات بجميع أنواعها وأفران الغاز ومعاصر الحمضيات وخلطات الفواكه والخضار كلها توظفها المرأة في البيت الآن وبدل السهر على حكايات سمعية

فقط أصبحت الأفلام تقدم لك الأحداث بالحركة والصوت والصورة حتى بات المشاهد يسهر الى منتصف الليل دون ضعف أو كلل.

الطب الشعبي:

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه والأمثلة كثيرة.

ففي النباتات والمعتقدات: تروي عجائز القرى الإسلامية عن (الدالية) أن الأسد سقاها ثم سقاها الطاووس فالقرد والخنزير وعندئذ صار من يشرب من عصيرها شرسا كالأسد متكبر الطاووس وثرثارا كالقرد أو نجسا كالخنزير. وابن آوى حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.

والثعبان: أنجس الحيوانات إطلاقا في المعتقدات الشعبية وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة. ونحرم المعتقدات الشعبية قتل السحلية فإذا قتلها أحد ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.

والحرباء: غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق. وأخبث الحشرات أم أربعة وأربعين إذ يضرب بها المثل بالمكر والخبث.

وشجرة الرمان: المباركة ولها سلطان على الأرواح الشريرة وكثيرا ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال.

شجرة الزيتون: شجرة مبهجة موقرة في فلسطين لأنهم يعتقدون أن وليا يسكنها ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عددا من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس وتسمع موسيقى غير مألوفة وإذا هبت الريح من حولها سمعت أصوات تردد الله الله.

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

يقولون:

- "درهم وقاية خير من قنطار علاج".
- "عصب إصبعك مليح لا يعمل ولا يتقيح".
- "إن وجعك رأسك أكرمه وإن وجعك بطنك أحرمه".
- "كل من الكافر ولا تأكل مع طويل الأظافر".

إن الطب الشعبي يلزم العلاج وكانوا يعتمدون على ذوي الخبرة من الناس وادوات للتشبيب لا خراج الدم الفاسد من كاسات هوا وفصد الدم من الوريد أو مسمار كي. والقصب البري يجبر الكسور وكذلك مزج الأعشاب كدواء.

وللبثور يستخدم زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران والكبريت وزيت الزيتون والحناء المجبولة بالماء والطحينة. ويعالجون السعال بنبات البابونج وحتى لإدرار البول يغلون الشعير وما البقدونس والرشح يدخنون الصدر بالزيت الحامي ويسقى المريض البابونج والزوفاء وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل وللإمساك ينقعون ذر والخلة في الماء ويشربونه.

أما العلاج الديني:

طاسة الرعدة: وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم مصنوع من النحاس أو معادن أخرى منقوش عليه سورة من القرآن على الغالب آية الكرسي أو المعوذات ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس ويسقى المرعوب أو المريض وفي بعض الكاسات ينقش عليها (بإذن الله تشفي هذه الكاسة من السموم). وبعض الكاسات توحى للأبراج السماوية لن كل إنسان له برج حسب مولده وأحيانا لا يعرف أي برج ينتمي اليه لذلك فإن

الشرب من الطاسة يضمن المرء لأي برج ينتمي. وعلى ذكر الأبراج فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية وأعتقد أن الناس هذه الأيام يأخذون بأسماء الأشهر الشمسية.

وأن أسهل للقارئ حفظ أسماء الأبراج القمرية بيتي الشعر:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان

وزنوا عقربا وقوسا بجدي ومن الدلو تشرب الحيتان

ومن الأمثال في الطعام: يعتقد الفلسطينيون بأن الطعام قسمة ونصيب وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له لذلك خناك أقوال شائعة كثيرة بالطعام منها.

اعزم والزم والأكل نصيب

وأحيانا يتأخر شخص عن الوليمة فيأكل شخص آخر طعامه وهو غير مدعو ويقال عندها

ما حدثش يوكل نصيب حدا

وإذا قيل للمدعو زيد فيجيب:

أكلت اللي فيه نصيب

والأمثلة حول الطعام كثيرة منها غلى سبيل الإيجاز:

يلعن الشارب قبل الطالب (ادب الانتظار)

• غب غب الجمال وقم أول الرجال

• اطعم الفم تستحي العين

• إن غاب عنك السمن عليك بالزيت (للقناعة بالموجود)

- الله يطعم الخمص للي مالوش سنان
- طلبتها المشتية وأكلتها المستحية
- اللي بدو يوكل عسل يصبر عقرص النحل
- يللي عنده قمح يقرضوه طحين

في التقويم الشعبي (الجيد منه والمكروه من الحيوان)

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم الى قسمين تبعا لفصلي الصيف والشتاء، فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين ويبدأ في ١٤/أيلول وهو عيد الصليب. لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون **شراقي الصليب** أو **شراقي الخريف** وهذه الرياح هي الرياح الفاصلة الصيف والشتاء وتأتي في العادة في اواخر شهر أيلول لذلك يطلق المثل القائل (أيلول طرفه مبلول) وإذا هطلت الأمطار يقولون (الموسم بدري).

إذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى وإذا ما بدأت يعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه ويقولون في سنة الشراقي (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكرا ويسمون لها (شتوة المساطيح) لأنها تنزل غلى سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزيبب إذ ينشرونه حتى يجف ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء كما يقولون الأولى والثانية والثالثة (يوم إفتوح) ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم انبوح ٩) ويوم السابع والثامن والتاسع (يوم منوح) أي شتاء جديد في تفسير البعض.. وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس (مالك صيفيات بعد الصليبيات) ويقولون (إن أبرقت غلى الصليب ما بتغيب) وفي شمال فلسطين في الجليل يقولون عند البرق بأنه علامة المطر (عند البرق الدنيا بتخبط) وأما إذا أبرقت وأرعدت (زواربيها طرطقت) ويقولون عن المحاصيل متى صلبت خربت أي أن الطمر بعد الصليب يخرب الزرع ويعتبرون الثالث من تشرين

الثاني هو التقويم فيقولون (يودع العنب والتين السنة) وفي أكتوبر تشرين أول تحف مياه الآبار فيسارعون الى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة (في عيد لد شد يا فلاح شد ما بقي للشتاء فعد) اما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض) الفحول رمز الإخصاب فيقولون (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل) وبوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها أما شهر شباط فهو غير مستقر (شباط الخباط ما عليه رباط ٩)، أما المستقرضات فإنها جاءت في قصة العجوز وغنماتها والقصة تقول :أنه مرت سنة ولم ينزل مطر فسمع شباط العجوز تقول (راح شباط ودسينا في عجزه المخباط) فغضب شباط وقال لأخيه آذار أقرضني ثلاثة أيام ومن عندي أربعة حتى نجعل العجوز تحرق دولابها أي لم يبق للعجوز من الوقود تحرقه منشدة البرد سوى دولابها الذي تغزل منه لتعتاش.

أما الربيع فهو فصل العشب يبقى أسيرة (المربعينية) وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار وتقسم هذه الفترة الى أربعة أقسام.

١. لعبة لطابة تصنع من القماش وتحشى بالقطن والصوف أو بقماش ممزق وتخاط ثم يأخذها الأولاد ويحمل كل منهما عصاة طويلة ويتنافسوا على سحب الكرة الى المرمى وهي حفرة يدخل فيها الكرة ليفوز.

٢. لعبة الغميضة: تتم القرعة على من يبدأ اللعب ويعصب عينيه وله الخيار بأن يعثر على غيره من اللاعبين ويمسك به.

٣. لعبة العصا والعصاة المثبتة في ثقب حجر ثقيل ومن يستطيع ضرب العصا المثبتة يكسرها أو يزحزح الحجر المثبتة به يكون الفائز.

٤. لعبة البرش الرواح: وهي لعبة متطورة تؤخذ الطابة المطاطية بيد اللاعب واللاعب الثاني بيده عصا مفلطحة النهاية يقذف حامل الكرة للأعلى فيضربها الآخر فتطير الكرة بالجو وعليه الركض ليمسك بها وهذه كانت لعبة الكبار.

٥. لعبة القفز العرضاني وهي حفرة مستطيلة فيها رمل أو تراب يتنافس الأولاد بالقفز ومن يزداد طولاً في قفزته يكون الفائز.

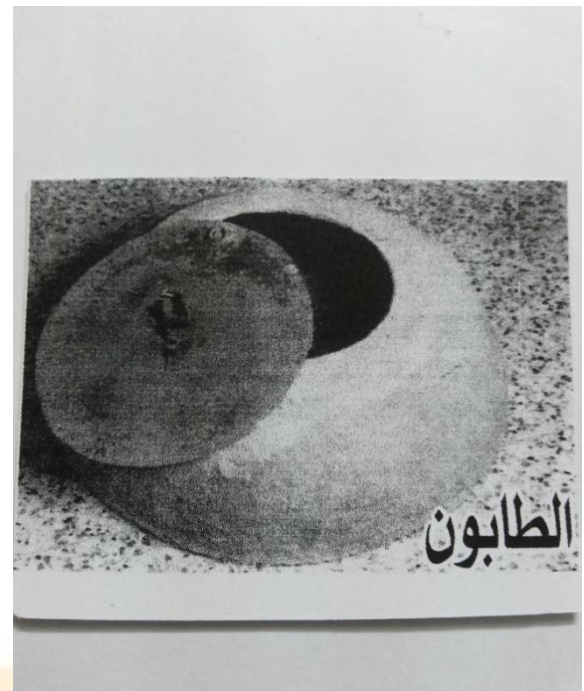
٦. مسابقات الركض وهي السائدة بين اللعب ومن يفوز في قطع المسافات يكون الفائز.

٧. القفز العالي: يمدد حبل بين عمودين بارتفاع من الستم فإن كان الولد عمره ست سنوات يثبت الحبل يثبت الحبل على ارتفاع ٣٠ سم وأن كان عمره فوق ذلك يرتفع الحبل حسب الطلب. أما في الوقت الحالي فإن اللعبة تطورت الى درجة كبيرة من التقنيات.

٨. لعبة المنة: وهي عامة يلعبها الأولاد طيلة العام. ولعبها يتم كالآتي:

يؤخذ عود من غصن شجرة طوله طول مسطرة (٢٠-٣٠ سم) على حجر يشكل مائل ثلثه بارز للأعلى ويقوم اللاعب ويضرب الطرف البارز من العود بعصاه فيطير العود في الهواء ويبعده عن الفريق المنافس وإذا التفته هذا الفريق صارت اللعبة لهم.

٩. لعبة المنقلة : يقتصر لعبها على إثنين من اللاعبين وهي لوحة من الخشب يتراوح طولها بين ٤٠-٥٠ سم محفورة بأربع عشرة حفرة مقسومة الى قسمين كل صف سبع حفر ويوضع في حفرة واحدة ٧ حبات من عجم الزيتون أو حجر رسوبي بحجم حبة الفول ويبدأ اللعب عادة الكبير في السن إذ يأخذ اللاعب الحبات السبع من حفرة الحبات في الصف الأول ويوزعها على الحفر الخاصة بصفه مبتدئاً من اليسار الى اليمين وعندما ينتهي يبدأ اللاعب الثاني في اختيار الحبات التي تكون في الحفرة التي من جهته ويوزعها هو الآخر ويضع في كل حفرة حبة واحدة كما فعل اللاعب السابق وهكذا عندما يوزع الحبات إذا كانت في الحفرة التي تحتوي على حبة واحدة فيرجعها. أي يأخذ الحبتين. وإذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي ٣ حبات أيضاً يريح أربع حبات. أما إذا كان أكثر من جوز أو أربع فلا يريح ويستمر اللعب حتى لا يبقى أية حبة في الحفرة وعندها ينتهي اللعب.



الفصل السادس: الأفراح والأفراح في بيت أمر

الأفراح:

الأعراس في بلدة بيت أمر:

يرافقها من سلوكيات مختلفة بعض الشيء.

تقوم أسرة العريس بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بجانب العريس ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم مؤجل عند المسلمين) يذهب ثلة من الرجال الى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً من أهل العروس بطلب لزواج وما يلزمها من خطوات تبدأ بالخطبة يتجلى بعادات وتقاليد الناس في البلد.

الخطبة:

من المتعارف عليه أنا أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم يرَ العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية. وفي بعض الأحيان يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم ثم تقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة بينما تطورت الخطبة هذه الأيام الى محاضرة تشيد وتميد بخصائل العائلة و المجتمع ويكون الحديث مملاً حقا كما وجدته في عمان مثلاً بينما قرأت سيرة خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم : إذ خطب أبو طالب عم الرسول خديجة من أبيها بقوله "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً وأمانة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلي".

ويتم العطاء وتقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً عندها تسمع النساء الموافقة تأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات ويقدم الشراب ومن الأغنيات التي تقال:

ريتك يا حلوه من حظي وبختي

ع الزنزلخت ع الزنزلخت

بدك مصاري بدفع مليوناً

بدك أبادلك ببادل بختي

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

وصاروا يطلبوا في البنت مية

على دلعونا يا مدلعنية

منللى مصاري أجيب المزبونة

صاح العزالي ياببي

التحضير للزواج:

يدفع الشاب مهر عروسه حيث الاتفاق ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره وكثيراً كان المهر يرهق الشباب وينتهي عن الزواج لفداحة النقد المطلوب ، وقبل حفل الزواج تنقل أغراض العروس الى بيت العريس بواسطة النسوة إذ يحملنها وهي موضوعة بصناديق وصواني وأطباق وبقج وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس الى بيت العريس.

حفلات الزواج:

تقام السهرات ويقال لها التعليلة وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة الألبسة والحناء والزينة كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات) ويتدربون على الأغاني والدبكات. ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل الى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا وغالباً ما تكون ذبائح أغنامهم وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس.

ينهمك أهل العريس وأقربائهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء وعند العصر

تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف. ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس وفي كثير من الحالات تحل مشاكل توثيق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها الى بيت عريسها أغنيات بقولهن.

يا محمرة يا مبودرة وألفين حق الكندرة

حلفت يا فلانه ما بطلع إلا الحامولة حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددنها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم يرافقون العريس الى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عيس عنتر عيس عريستا

عريسنا ابن الكرام ابن العريس عريستا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريستا

والي يعاديننا بنذبحه ونقطعه بسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة ويحلى صدر الحصان بالرداء المزخرف ويحمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره وكذلك الحال حصان العروس. ومن الزغاريد التي تحي رب الأسرة وتمجده تشير الى مكانته وعلى غرار التقاليد العربية (المهااة التالية)

أيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا أيه ويها ولا تشمت بنا يا طيب

إيه ويها وحنا ان رحلنا جعلناك الدلو أيه ويها وحنا ان نزلنا جعلنا بيتك العالي.

العتابا: تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية وتستخدم الفخر والمديح وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الطباء الأنسية والتي حفلت بها الأغاني، وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصيد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين بقلبي ناصبات جراح ماضين

كشف جرحي الطبيب وقال ما ظن ما ظني يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل والعاشق مختار معذب بعدما رفض والدها طلبه
فيقول:

يا طولك طول عود الزان لو مال يا شعرك حير الجدال لو مال

وبوكي لا قبل فضة ولا مال أكيف الرأي عندك والجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة وكل منها معانيه ولحنه منها:

زريف الطول ودلعونا: ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبا وقوع الصاعقة فيقول.

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك بللي را بي بدلال أمك وابوك

يومن جانا الخبر أنهم خطبوك شعر رأسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه الى مسقط راسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسّم يا هوا الغري الحنونا

بالله إن متت ياما اقبروني بأرض بلادي بفّي الزيتون

الغزير: وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة بينما تختلف قافية الشطر الرابع وتنتهي بالمقطع (با) وهذا ناتج عن عبارة

أهلاً يا غزير يا بو الهييا يا غادي يا معذبا

زرتونا و شرفتونا أهلاً وسهلاً ومرحباً

وفي الأعراس تقام الدبكات والسحجات ويأتي الحداؤون (الشعراء)

ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم الافتخار والغزل وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم والقيم.

وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول ويتباريان الأقوال الموزونة بمواقف حيوية معينة على سبيل المثال يتناول الشعر السمرة والبيض وينتصر البعض لأي فريق، وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل.

وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل الى العراك بين المناصرين للشاعرين. ومن هذه الأغاني:

قالت البيضا اسم الله علينا يا ورد مفتح حوالينا

يللي سافرتو عودوا الينا لا تطيلوا لجفا تزيد الهموما

السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايس واحنا المحارم بيد العرايس

روحي يا بيضا يا لبن مايص واللي ييهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ميخذ السمرا ويش بدك فيها يا رمل البحر تنو يجليها

في البير الخارب والله ارميها واحكم عليها حكم فرعوننا

أبو الزلف: هي أغاني الدبكة تلتزم هذه الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عا لعين يا بو الزلف عين الزلف ليا

قلبي جريح الهوا وانتي الدوا ليا

جفرا ويا هالربع عالبير نشالي

وامنزرا بالطقم فوق الطقم شالي

ولادة المرأة: عندما تلد المرأة تخرج القابلة لإعلان النبأ فإن كان المولود ذكراً تعبر الزغردة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامت إيه ويها وع فراشها ما نامت

إيه ويها ولك الحمد يا رب إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر إيه ويها عيش و أكبر يا ذكر

إيه ويها يا عطية ربنا إيه ويها ويا مانال اللي صبر

وقد تلجأ المهااة أحيانا الى التعميم، فلا تذكر المولود اذكر أم أنثى

وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

إيه ويها وقفت حمامتنا أيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل: تحاول اللام هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحة وتأخذ بالغناء ويدعى هدهدة:

نامت عيونك وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة على مخلوق ودامت

ويقولون أيضا:

هللي له يا حمامة هللي له تينام

وافرشيله الأخضر والوسايد وريش النعام

ترقيص الطفل: وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص ، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعها الى أعلى بحركات ترافق الأغنية كالتالي:

ميمنه ياميمنه	ياربي تخليه
وتخليه لمويمته	وتكحلله عينيه
وإن شاء الله بيكبر	وبيحمي هالشباب
ويحمل على جنبه	سيف وجراب وشبريه

أغاني الختان: وهي متنوعة وليست هناك أغنية متخصصة فالأم تغني ما يحلو لها من مهاواة وأغان عامة غير أن هناك أغان بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا يا شلبي وناولو لأمه	يا دموعو الغاليه نزلت ع كمو
يامطهر يا مطهر امسح بالشفرة	لاتوجعلي رياض يا بن الأمرا

اللعب مع الغناء: تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل وعندما يصبح الطفل قادر على فهم ما يقوم به يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب منها مثلاً:

يامنيمسه يامنيمسه	يا حبة القريمشة
بعثني معلتي	اشتري راس البصل
وقع مني وانكسر	بوق بوق
يا أم الحلق والدبوس	قيمي إيدك يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي إذ يحمل الأب طفله على ظهره تقوم الأم بينما تلف الأم يديها حول رقبة والده فيقول الأب:

أنو فوقى ويرد الطفل عبد الطوقي
الأب شو بدو يرد الطفل حمص مقلي
وينزل الأب طفله قائلاً طيح نقي.

أغاني الشتاء: يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياس من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر ويقولون:

شتي يا دنيا شتي	على صلعة ستي
ستي جابت صبي	سمته عبد النبي
حطته بالطنجرة	طلع صحن مجدرة
حطته بالبير	طلع راسه كبير

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتي وزيدي	بيتنا حديدي
عمنا عبد الله	كسر الجرة
شتي وزيدي	على طريق سيدي
سيدي بالمغاره	ذبح قطة وفارة
سيدي في البرية	بيطبخ لبنية

وهناك تغنى بالأعياد:

بكرة العيد بنعيد	بنذبح بقرة السيد
والسيد ما لو بقرة	بنذبح بنته ها الشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

ياطيور طائرة يا مراكب سايرة

سلمي ع أمي وابي وقولي جبينة راعية

ترعى غنم ترعى سخول وتقبل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف) ومن الأغاني التي يرددوها الأطفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار لسه التين ما نور

ما نور إلا الزيتون يازيتون احمل ليمون

ومن الألعاب التي ترافق الأغاني:

طاق طاق طاقية رن رن يا جرس حول واركب عل فرس

لعبة الدائرة مع القفز: تلجأ الفتيات الى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض ويقفزن معا قفزات متوازية ويغنن:

إحنا الثلاثة سوا مثل عمود الهوا

وحدة كبيرة وحدة صغيرة

وحدة طويلة وحدة قصيرة

وحدة بترجع لورا

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكور والإناث:

لعب البنات: لعبة الإكس - (الحيز) والزقطة (القال) الغماية (الطميمة)

الخويمة (الخاتم والأصبع) نط الحبل لعبة الخمسات

لعب الذكور: كسر البيض - البنابير (الدحل) لعبة الكورة - لعبة المنى

لعبة الغزة توضع عصاة متين في ثقب حجر ويتبادل الأولاد بضربها كل بعضاه والذي يكسر ها بعضاه يكون الفائز - لعبة كرة القدم - وسباق الركض و السحاسيل.

الصيد: كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد حتى كان البعض منهم يتكرون أدوات جديدة لصيد العصفير مثل النقيفة أو بالفخ - بالدبق - بالشبك - بالفخاخ - وجمع الفراخ من أعشاشها) وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية ويطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.

الأتراح:

تشمل الموت والجنائز إذ يقمن النسوة في أغلب قرى فلسطين بالندب والعيول والصراخ وتمزيق الشعر والثياب ويختلف الحزن بين الصغار والكبار في العمر وينال الشباب حزن الجميع في القرية وبشكل خاص الشهداء وما أكثرهم بين شعبنا المنكوب كما تقام الأتراح في النكبات وهدم البيوت والحرائق ثم الحوادث الطبيعية من زلازل وفيضانات وسيول تأخذ الكثير من مخيمات اللاجئين وما أكثرهم عند شعبنا المعاصر وتقبل التعازي في العادة بالساحات العامة وقعات المساجد عند المسلمين وفي الكنائس عند المسيحيين وفي قاعات خاصة بالأجرة وهناك قاعات للجمعيات والنقابات المهنية يمكن الاستفادة منها في هذا الصدد يقدم للمعزين القهوة المرة وفي كثير من الأحيان يعزز العزاء بحضور مقرئين للقرآن.

المراجع والمستندات:

كل المراجع في هذا الفصل أغلبها اعتمدت عليها من : خيراتي الشخصية:

الموسوعة الفلسطينية ج ٤ فكتور سحاب ص ٤٥٠

كتب نمر سرحان ١-٢-٣

الفصل السابع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفرغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم والتقت دعوتهم مع مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة فأصدرت الحكومة البريطانية وعدا المشؤوم وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ ٢/أكتوبر/١٩١٧ الذي ينص منح الصهاينة وطن قومي لهم في فلسطين بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابهه بقسوة ظالمة وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤٨ أي ثلاثة عقود أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم... الخ) الى جانب الهجرة الصهيونية التي تم في عهد انتدابها إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها ٥٦٠٠٠ فرداً وأصبح عددهم بعد انسحابها ٦٥٠٠٠٠ نسمة. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدامة لمعارضين لسياساتها وتعد بآلاف والسجون والمعتقلات والتشريد وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين.

١- مذبحه قريتي بلد الشيخ وحواصة عام ١٩٤٧/١٢/٣١:

أمام باب مصفاة بتزل حيفا، ألقى الصهاينة وهم في داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عددا من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب ووصل الخبر الى العمال في الداخل ثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حواصة وبلد الشيخ هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمتين ليلاً فرموها بالقنابل اليدوي وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ ٣٠ شهيداً وجريحاً وأحرقوا عشرة بيوت .

٢- مذبحه قرية سعسع قضاء صفد في ١٩٤٨/٢/١٤:

شنت عصابة البلماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع دمرت فيها ٢٠ منزلاً فوق أصحابها وأسفر الهجوم عن ٦٠ نسمة معظمهم من النساء والأطفال وقدمتها العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

٣- مذبحه رحوفوت في ١٩٤٨ / ٢/ ٢٧ قرب حيفا:

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحبوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب الأمر الذي أسفر عن استشهاد ٢٧ عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

٤- مذبحه كفر حسينية في ١٩٤٨ / ٥/ ١٣:

قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

٥- مذبحه بنيا ميناه في ١٩٤٨/٥/٢٧:

لقد حدث في هذا الموقع مذبحتان حيث نسف قطاران أولهما تم في ١٩٤٨/ ٥/ ٢٧ وأسفر عن استشهاد ٢٤ فلسطينياً وجرح أكثر من ٦١ آخرين وتمت العملية الثانية في ١٩٤٨/ ٥/ ٣١ حيث استشهد أكثر من ٤٠ عربياً وجرح ٦٠ آخرون.

٦- مذبحه دير ياسين في ٩/٤/١٩٤٨:

مجزرة ارتكبتها منظمات صهيونيتان إرهابيتان هما الأرغون والتي يرأسها مناجيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاما وتم الهجوم باتفاق كسابق مع منظمة الهاجاناه وراح ضحيتها زهاء ٢٦٠ فلسطينيا من أهالي القرية معظمهم مدنيين عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دوليا وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحرب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

٧-مذبحة الطنطورة في ٢٢/٨/١٩٤٨:

هاجمت كتيبة ٢٣ التابعة للواء الاكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات وانهمك الجنود الصهيانية بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم الى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيدا من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته والتي خصها في المذبحة وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

٨- مذبحه قرية الدوامنه في ٢٩/١٠/١٩٤٨:

هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشي ديان قرية الدوامنه في منتصف الليل وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين الى مسجد القرية واحتموا فيه وقتل منهم ٧٥ رجلا كما لجأت ٣٦ عائلة الى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعا بالقنابل والرشاشات، وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل الى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب وقد جرى اقتناصهم وقتلهم كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهيانية الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة حداثوت الإسرائيلية تحقيقا عنها، وقد أقام الصهيانية مستعمرة " أمانتيا " على أرض القرية المنكوبة.

٩- مذبحه يازور قرب يافا في كانون أول عام ١٩٤٨ :

تقع القرية على مفترق طرق تعرضت القوافل الصهيونية الى عنف المقاومة العربية كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة، فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً الى قائد البالماخ بيجان آلون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نفس وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في ٢٢/كانون الثاني/ ١٩٤٩ أي بعد ٣٠ يوماً من حادث الحراسة وتولى إسحق رابين عمليات المالباخ فهاجم القرية فجر ذلك اليوم فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني منها مصنع الثلج وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل ١٥ فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام، وتعود أهمية هذه المذبحة الى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام ١٩٨١.

١٠-مذبحة شرفات في ١٩٥١/٢/٧ :

في الثالثة من صبيحة يوم ١٩٥١/٢/٧ وصلت سيارات قادمة من القدس وعلى ثلاثة كيلو مترت ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلّة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة واحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانها ونسفوها بمن فيها وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى وثلاث نساء وخمسة أطفال وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

١١- مذبحة بيت لحم في ١٩٥٢/١/٢٦ :

وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح الطوائف الشرقية قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد ٢ كم من بيت لحم وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية فقتل صاحب المنزل وزوجته، وطفلان وجرح طفلان آخران من العائلة.

١٢- مذبحة قرية قلمة في ١٩٥٣/١/٢٩:

هاجمت سرية معززة تتألف من ١٢٠-١٣٠ جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها وخلفت تسعة شهداء مدنيين الى جانب عشرين جريحاً.

١٣- مذبحة قلقيلية في ١٩٥٣/٨/٢٨:

حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء لأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتف الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية حتى أن موشي ديان صرح بقوله " سأحرث قلقيلية حرثاً" وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها وبشكل خاص في اشتباك يونيو ١٩٥٣. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام ١٩٥٣ تسللت الى قلقيلية مفرزة الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة ، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف وزرعت بعض الألغام في الطرق في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة، وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة ، لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدفعاته ، وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات واحبطت العملية على يد النجادات القادمة من أهل القرية وما جاورها وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة فزادوا قواهم حوله وحشدوا أعدادا كبيرة حوله وقد استغل العدو هذه الظاهرة فقاذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها وتقدمت آليات العدو الى مركز الشرطة واحتلوه ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت وقتل كل من يصادفهم في الطريق وكان حصيلة المذبحة الغير متكافئة قرابة سبعين شهيدا من سكان القرية وما حولها الى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني والقرية من القرية واصطدمت بألغام العدو التي زرعتها في الطريق فتكبد بعض الخسائر وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر .

١٤- مذبحة قيبية في ١٥ / ١٠ / ١٩٥٣:

في كتاب صدر في تل أبيب عام ١٩٦٩ باللغة العبرية يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة ١٠١ الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية والتي يرأسها "آريل شارون" ونائبه شالوم والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام ١٩٥٦ وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام ١٩٥٣ بلغت ذروتها في مذبحة "قبيية" القرية الوديدة الواقعة في الضفة الغربية، وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء إنتقامي لمقتل امرأة يهودية مع طفلها كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية إلا أن مجلس الأمن الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لا بد من الانتقام واسفرت مذبحة قيبية عن سقوط ١٩ قتيلاً من المدنيين العزل ونسف ٤١ بيتاً ومسجد وخزان مياه القرية، وقد أريدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من ١٢ فرداً .

وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية فضلاً عن حقوق الإنسان وغوذجاً سافراً لسياستها الإرهابية والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

١٥- مذبحة دير أيوب في ٢٩ / ٥ / ١٩٥٤:

في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثاني عشرة ، وعند وصولهم الى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد ٤٠٠ متر من خط الهدنة فاجأهم بعض الجنود الصهاينة وهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذهما وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى أسرع أهل الطفلتين الى المكان المذكور، وشاهدوا نحو إثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نقلت اليه.

١٦- مذبحه نحالين في ٢٩/٥/١٩٥٤:

قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من ٣٠٠ من اجتياز خط الهدنة وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت الى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم حيث ألقى كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

١٧- مذبحه كفر قاسم ٢٩/أكتوبر/١٩٥٦:

في ٢٩/١٠/١٩٥٦ وعشية العدوان الثلاثي على مصر تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية، وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة الى الساعة الخامسة مساءً وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه خاصة أولئك الذين يعملون خارجها وهو ما نبه اليه مختار القرية حينها الى قائد القوة الإسرائيلية . كما تلقى شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين الى القرية بقوله : الأفضل أن يكون هناك قتل لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف) وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة شالوم فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين ولقي مصرعه ، كما قتلت مجموعة منهم ٢ امرأة كن عائدات من جمع الزيتون وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي، وعلى ساعة ونصف الساعة سقط ٤٩ شهيداً و١٣ جريحاً هم ضحايا المذبحة وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال شلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة اسبوعين إلى أن اضطرت الى إصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء الى الصحف ووسائل الإعلام، وتغطية على الجريمة أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهما على رأسهم العقيد شدمي وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موشي حايم بينما عوقب ملنيكي بالسجن ١٧ عاماً وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن ١٥ عاماً في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل الى سبع سنوات وحظي الباقي بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة فإنه قبل عام ١٩٦٠ كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً حيث أصدر اسحق تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم. بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل الى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم وهم اليهود الشرقيين. (٢٠)

المراجع

فلسطين بالذاكرة

(٢٠) كل المجازر الواردة ، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية إنترنت)

الفصل الثامن: سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة إسرائيل

سياسة الانتداب البريطاني والصهيوني في شعب فلسطين منذ أن وطئت بريطانيا فلسطين و احتلتها عام ١٩٤٨م عملت على تنفيذ وعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود بكل يلزم من تيسير الهجرة وسلخ أراضي وتشجيع المؤسسات من مدارس وجمعيات ونوادي وطرق ومواصلات ومرافق من موانئ بحرية ومطارات ومعسكرات وكبح لأصوات المعارضة من اعتقال وإعدامات لشعب فلسطين، وبقيت بريطانيا ثلاثين عاماً سنة ١٩٣٨م وقد أمنت للصهيونية دولة قائمة على طبق من ذهب تاركة شعب فلسطين يأن تحت احتلال إسرائيل وزادت الإمبريالي الأمريكية من تقوية الصهيونية حتى باتت السلطات الصهيونية تهدد العرب والمسلمين في عقر ديارهم وساعدتهم في التماذي على حكام العرب أجمعين ومن الممارسات التي واجهها الفلسطينيون والعرب من بريطاني وإسرائيل.

في الزراعة: أرض فلسطين في خصبة تربتها ومناخها المعتدل من حرارة ومطر وأودية دائمة وسيلية ونباتات دائمة وخبرة قديمة متطورة كلها جعلت فلسطين غنية بزراعتها والكل يعلم بهذه الشهرة والغنى من قديم الزمان ذلك كانت محط أنظار الطامعين من جوار وأغراب مرت بها القوافل العالمية و داستها الجيوش الغازية وتقلبت فيها السلطات والعروش طرحت بأسواقه بضائع الأمم و الشعوب من توابل هندية وكتان و قطن وسكر مصري وبن يمني، ونسيج دمشقي وصباغة فنيقية، وزجاج فخار نحاس كنعاني حديد فلسطيني سيوف شامية بأشكالها وأنواعها، ونماذج ومجسمات منحوتة في الخشب والحجر، والرخام والعظم الى جانب القنب والأرز والحبوب والبقول بأنواعها وكانت التجارة نشيطة بين الأقاليم والقوافل تسعى بين أقطارها السفن تمخر البحار محملة بكل البضائع الخيرة والمؤن تعين المغيث وتسد أفواه الجائعين وتطفي السعادة على جه المحرومين تبعث الأمل في قلوب القانتين ولا زالت الفنون وقولبتها تتمتع بها منطقة القدس ورام الله وبيت لحم من حفر على خشب الزيتون لصنع نماذج متعددة وأشكال متنوعة من ترصيع الخزف بالخشب وما تنتجه الإناث في رام الله ومحيطها من أشغال غاية في الجمال من حياكة وشغل الإبرة في تطريز الثياب والتي نالت إعجاب نساء الغرب قبل إناث العرب وخلقت أسواقا رائجة للفنانين وما أكثرهم تعوض ما سلبه العدو من أهل فلسطين وباتت هذه الصناعة وصدر رزق لأكثر المواطنين تحت الاحتلال هذا كان وضع أطماع الغزاة الطامعين و مما زاد مقامها العالمي ظهور الأديان السماوية فيها بركتها المقدس مدينة القدس الشريف. مدينة السلام والمحبة والإخاء المؤمنة برب العالمين رب السماوات والأرض أجمعين لخلق الناس التي لا تعرف التعصب والتمييز الكراهية التي لا تقوم على الغدر مثل الدولة المنتدبة عملت خلال الثلاثين عاماً في حكمها لفلسطين

على تحقيق هدفها مقاومة كل المعارضة لهذا الهدف من قتل اعدامات سجون نفي لكل النشاط من أبناء فلسطين بينما ساعدت الهجرة الصهيونية شجعته ودعمتها قدمت للصهاينة وعصاباتهم الدعم العسكري و الحماية والتدريب المستمر أمام التجارة واغراق الأسواق بالحبوب بأسعار منافسة لأسعار الحبوب المحلية مما أساء للتجار العرب كذلك للبقول حتى الزيت صار لها منافس في أسواق فلسطين الهدف هو إفقار الناس هذا ما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القروين مع حملات التحريضية المضادة للحكومة يتابع هذا الحاكم في رسالته يقول "فالأعمال في عكا وشفا عمر متوقفة في حيفا تكاد تكمن جميع أنواع العمل التي تعد بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سرية أخذت تقتل الترانزيت فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، قد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية أصحاب العمل اليهود يتعاملون إلا للمهاجرين من اليهود الجدد من العمال، إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم. أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فانهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيهم بواسطة أية أعمال أخرى إن بعضهم يواجه الإفلاس، ليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير فهو مثقل بالدين ليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه أنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول، يرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية و ما يترتب عنه من الهجرة اليهودية. أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين. فشردهم واستولت على أملاكهم من عقارات أثاث أراضي بمراسيم سلطة غاشمة استغلت مناصرة الاستعمار أمريكا في الأوساط الدولية. من عمليات طرد عرب فلسطين من قراهم في ١٩٥١ / ٢ / ١ طرد الى خارج فلسطين سكان ١٢ قرية فلسطينية تقع في وادي عارة في منطقة المثلث، طرد سكان أم الفحم ثم نسفت بيوتهم. اتبع الصهاينة سياسة الطرد الانتقائي الذي يقوم على اختيار لبضع عشرات من الرجال النشيطين من كل قرية و طردهم خارج الحدود لتلحق بهم عائلاتهم و قد طردت كذلك قبائل بأكملها مثل البقارة التي أجبرت على مغادرة بلدتها بالقوة العسكرية الى الحدود السورية وانتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام ١٩٢٩م، و١٩٣٦م، و١٩٤٨م، وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح فيخلط الجنود مؤن

المواطنين مع بعض ويخربون ويسرقون ما طاب لهم وذلك بغياب أصحاب البيوت من أهلها الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة ويحظروا التجوال في القرية. كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة. أما الرجال فيجمعون في مركز آخر ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار يهدمون بيته بالمتفجرات وكم هدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين ومنهم قرية الفريديس. ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود ومنحهم كل عوامل القوة مثل: منحهم الأراضي الفلسطينية الخصبة من أملاك الدولة العثمانية. وتنفيذ أوامر المحاكم التي أوصلت بإخلاء الفلاحين من أراضي اشتراها الصهاينة عن طريق وكلاء من مغتربين ليسوا من فلسطين كانوا استلموها من الدولة العثمانية مثل سهل مرج ابن عامر ووادي الحوارث ومنطقة الحولة.

١- إغراق الأسواق الفلسطينية بالمنتجات الزراعية من حبوب وبقول وعرضها لتضارب الإنتاج الزراعي الفلسطيني وتقضي على حياة الفلاحين.

٢- وضع الضرائب على البيوت والبضائع والأراضي وتحذر من ترك الأرض بدون استغلال وإلا تسحب الأرض من صاحبها إذا تركها أكثر من سنتين بدون زراعة.

٣- السماح للمهاجرين اليهود بالدخول وتشجيع الاستيطان وتنسق مع المنظمات الصهيونية لتنفيذ وعد بلفور الاستعماري رغم وعودها للعرب بالحد من الهجرة عبر الكتاب الأبيض الأول والثاني.

٤- عدم التزامها بقرار التقسيم ومحاولة ردع رجال الهاجاناة من احتلال المدن وبعض القرى وجيش بريطانيا لايزال على أرض فلسطين أي قبل إعلان انسحابه المقرر في ١٩٤٨/٥ م مثل حيفا ويافا وصفد والعديد من القرى قضاء يافا.

٥- تأسيس بريطانيا جيشاً لإسرائيل القادمة بإشراك الهاجاناة من جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وكان نواة الجيش الإسرائيلي، بينما كانت المشانق في عكا تعقد كل ثلاثة من كل أسبوع لتقدم شهيداً على الأقل أسبوعاً ولم نشاهد خلال هذه فترة الاعدامات أي مشنوق يهودي علماً أن كثيراً منهم كانوا معتقلين في سجن عكا بعد أن ثاروا ضد الاحتلال البريطاني وتعليق الجنود البريطانيين على فروع الزيتون واعدامهم بالجملة وكان المسؤول عن هذه الجرائم

الإرهابي مناحيم بيغن الذي حكمت عليه بريطانيا بعد أن فجر فندق الملك داوود عشرون عاماً وبعد ذلك أصبح رئيساً لوزراء إسرائيل. وقد زرت بريطانيا عام ١٩٧٧م ولمست الاستنكار وكانت حجة الحكومة البريطانية بأن الحكم سقط عنه لتقادم التنفيذ لامتناع بين أساتذة جامعة درم وفي هذا السياق أعرض للقارئ الكريم قصة تعبر عن ردود فعل البشر في محاربة القهر والظلم.

كنت من سكان عكا وفي عام ١٩٤٧م وفي شهر آب سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة، وما هي إلا لحظات وقد رأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة وأمامها شخصان بلباس جنود انكليز ويصرخون على الناس بالشوارع بالتزام المحلات ولما خرجوا من البوابة لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت) وعليها رشاش مركب على حامل ولما رأى الصهانية سيارة بريطانية أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم وقد أصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكرز) فقتلوه فوراً ولما رأى رفيقه ما حصل وكان يسوق السيارة ولحق بهم وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم وقالوا لي أنهم راحوا عن طريق صفد وأخذت طريق مختصر أعرفه ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة ووجدت الجندي قد سبق سيارة الارهابين ووقف وراء الرشاش وما أن اقتربت سيارة الارهابين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع وتهرب فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة وقتل سائقها وانقلبت السيارة وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف فاخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم نار حامية وكان الأولاد أمامي عندما يرى أحدهم بين الزرع فتصرخ للجندي بقولنا مستر مستر هذا واحد فيلقى مصرعه. وبعد أن تم الجندي مهمته دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره ولسان حاله يقول: "لقد انتقم لك يا عزيزي" ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاءه واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم ٢٢ سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

كان الهدف كان عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا إذ كانت الخطة ان تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن ثم يركبون سلام بحجة تصليح الكهرباء ويحفرون جدار

السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود ثم تبعهم السجناء العرب.

٦- التعاون البريطاني مع المنظمات الصهيونية العسكرية مما رأيته:

- أن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين أخبر الضباط الانكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة ولما وصل الحنيطي إلى عكا حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا وواصل طريقه وبعد مغادرته عكا سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات واستشهد هو وزملائه وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة موتسكن. وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.
- توجه أربعة من مهندسين الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما فعطلت سيارة الحراسة الأولى وتابعت سيارة المهندسين طريقها وتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل فقتل السائق وانقلبت السيارة وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوه انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه. لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً أمشوا فوق جثثهم، وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دمر الرأس تماماً وبين رعشات رجلي وهي تدوس وكأنني أدوس على فرشاة إسفنجة ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً.

٧- تسليم الإدارة العسكرية البريطانية جميع معسكراتها وما فيها إلى العصابات الصهيونية وكانت هذه المعسكرات عوناً كبيراً للسلطات الصهيونية ساعدتهم في مواصلة الحرب ضد العرب.

٨- لقد أعانت حكومة الانتداب المهاجرين الصهاينة لإنشاء دولة ضمن دولة لإعلان الدولة الإسرائيلية التي يحتفل الإسرائيليون بقيامها في ٢٨ - نيسان من كل عام بينما لم تسمح للعرب بأي جمعية أو منظمة أو إدارة يمكن اعتمادها لإدارة البلاد بعد رحيل الانتداب عن فلسطين.

هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام ١٩٤٨ -

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم وأركز على البعض منها:

إن فلسطين هي أرضهم وأن اليهود وعدوا بها بينما الآثار تثبت عكس ذلك وأن شعب إسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس اليوناني في القرن السابع ق.م والقرن الأول ميلادي، حيث القائد الروماني طيطس دمر الهيكل ولم يعرف مكانه أن الدين اليهودي يشكل قومية وهذا مخالف لكل مقومات القومية فالديانة اليهودية معتقد وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الاسكندراني واليهودي الخزري مع اليهودي الافريقي وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة لا تجمعهم لغة أو دم وهم بحاجة إلى تراجم لتتم عملية التواصل فيما بينهم.

- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية وإن الواقع غير ذلك.
- إن جامعة الدول العربية تأسست عام ١٩٤٥م أي بعد الحرب العالمية الثانية والدول السبع كانت تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي ولم يعض على استقلالها أكثر من ثلاثة أعوام. وكانت كلها مرتبطة بالإنكليز والفرنسيين فالأردن كانت مرتبطة بالإنكليز وجيشها يحكمه ويسيره جنرال جلوب باشا وهو القائد الفعلي للجيش العربية العتيدة والذي عزله الملك حسين بن طلال وتخلص منه.

❖ والعراق كان مكبلاً بمعاهدة مع بريطانيا وهي معاهدة ١٩٣٦م وأغلب ضباط الجيش من الإنكليز.

- ❖ ومصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا، والجيش البريطاني جاثم على قناة السويس وسورية كان لها جيش مستقل تنقصه المعدات، والجنود المدربة إذ قام الضباط الفلسطينيون عام ١٩٤٩ - ١٩٥٠ وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.

- ❖ والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال وتحت حكم الإمامة الذي كان يبيع إمامهم طوابع البريد في ديوانه.
- ❖ والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية وليس عنده القدرة لتحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على انتاج البترول وبشكل خاص الشركات الأمريكية وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد لا أن تساعد الصهيونية ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.
- ❖ هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الاسرائيلية ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة، إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية اجزم وعين غزال وجبع. واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.
- ❖ كانت قوات الصهاينة تزيد عن ٣٠ ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية وكان لديهم ٣٢ ألف مقاتل مدربون احتياط.
- ❖ قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية.
- ❖ تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة واستغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل حربية جديدة ومنها الطيران فيما لم يوجد طائرة واحدة تدخل أرض فلسطين.
- ❖ إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

هذا قليل من كثير و تقصير الجامعة العربية العتيدة والتي بدأت بسبع دول والآن باتت تضم (٢١) دولة قطرية تتنافس مع بعضها والضعف ينهش أهلها و سفاءها: كلاب للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود.

المراجع:

(١) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير مروان الماضي

(٢) بلادنا فلسطين ج ١ مصطفى الدباغ

(٣) الموسوعة الحرة ويكيديا

الفصل التاسع: أدب المقاومة السلمية

لعبت المقاومة الفكرية الفلسطينية دوراً رائداً في مقاومة الطامعين بأرض العرب وبشكل خاص فلسطين وكانت الثقافة الفلسطينية الفكرية هي المتقدمة منذ انتهاء الحكم العثماني وتنبه أبناء فلسطين قبل غيرهم بالخطر واستعدوا له بالعلم والمعرفة وانخرط نشاطهم في وحدة العرب وكان المتنورون منهم يسعون إلى وحدة العرب فقومهم بوحدهم ولم يفكروا مطلقاً بالقطرية فقد جمعتهم الجامعة العربية بميثاق هد جمعهم ونشأت الجامعة يسبعه دول وصارت الآن ٢١ دولة فضاعت الأمة وتفسخت أوصالها بقيادة قاتلوا الوحدة واجتثوا جذورها ونحن نرى أن جاء الدور على الاسلام يجردونه من الرحمة والسلام والإخاء يزورون ويشوهون المفاهيم والحقائق ينهبون أموال العرب بأيدي سفهائهم يجرمونهم على شعوبهم ويحللونهم لعدوهم الذي ضبعهم بخلق عدو جديد يهرولون في نجدتهم وهم أصل الفتن والبلاء. إني يا أخوتي عندما أكتب عن القرى التي باتت مدناً وبلدات في فلسطين رأيت ولمست أبناء هذا الشعب كم هو جبار حقاً إذ ليس هناك قوة في العالم تستطيع إذلاله وإني أقدم للقارئ كيف يسعى هذا الشعب في حبه لوطنه أن يعمل المعجزات وقد فعل ومنها قوته الفكرية التي تجاوزت ثقافة أبناء العرب أجمعين وتتجلى بما يلي المجموعة بالصراع السياسي-الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية. (١٥)

(١٥) الموسوعة الفلسطينية خاص مج ٥ ص ٢٥

التمثيل والمسرح:

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى. وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمنهم فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام وجريح بيروت وعنترة العبسي وصلاح الدين الأيوبي ومملكة أورشليم وطارق بن زياد وفتح الأندلس وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي ١٩٢٤-١٩٢٨م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تندد بالاستعمار الاسباني في المغرب وذلك بين عامي ١٩٢٧-١٩٢٨م.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها فأقبلوا على التمثيل ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يرأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في ١/٤/١٩٣٦م وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي).

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام ١٩١٨م ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل إذ كتب مسرحية "شتم العرب" سنة ١٩١٤م ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة ١٩٢٩م.

وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام ١٩٣٥م وله مجموعتان "ذكاء القاضي" و"العدل أساس الملك" أو "لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و "فلسطين لن ننسك" وفي عام ١٩٣٤م أمام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف لمسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار-غرام الميت-قبلة المحبة - صراع بين العلم والإيمان.... إلخ".

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية:

"وطن الشهيد" عام ١٩٤٧م "شيخ الأندلس" ١٩٤٩م "حرب القادسية" ١٩٥١م "الفداء" ١٩٦٨م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة ١٨٩٧م مسرحية "مصرع كليب" ١٩٤٧م "أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة ١٩٦٦م وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأدبية المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام ١٩٣٨م، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة وهي "نساء وأسرار" و" صبر وفرج"، "قيصر روسيا ومصرعه"، " أصل شجرة الميلاد".

وكتب غسان كنفاني من المسرحيات الباب، والبنّي، وجسر إلى الأبد وصدرت جميعها سنة ١٩٧٨م بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغريال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف، وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية نوعين من الرقابة فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية) خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية " أنا راجع بما" لمسرح آذار ومسرحية "رجال في الشمس" (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح ، والمسرحيتين هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية (الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغريال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه. وإن فرقة الغريال في شفا عمرو تأسست عام ١٩٦٧م وقد قدمت كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس-بنادق السيدة كرام-الملك هو الملك-والحضيض-الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغريال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة الغريال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ ٦ و٧ و٩/١٩٨٢م. وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي"

وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي فنشأت في عام ١٩٨٢م المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولا يزال على مرأى وسمع العالم كله. (١)

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) ل ناظم حكمت وتجدد الإشارة الى أنه أثناء التجارب التي كانت تجربها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين وقد لفت النظر الى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية وتجملت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/ ١٩٧٣ إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضا حازت إعجاب الجماهير التي بادرت الى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين ، وفي ٢٨/٤/١٩٧٥ شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجانا مسرحيا شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (وبلا-لين) ودبابيس وكشكول وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/ ١٩٧٣ واتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميله وفوزي السكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم والمسرحيات التي ل (بلالين) هي قطعة (حياة والعتمة) ونشرة احوال الجو والكنز تع تحرفك يا صاحبي. ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

١. انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة مثل (قطعة حياة)

و(العتمة)

٢. معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
٣. النقد الحاد للأفكار الغربية التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
٤. إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفریط فيها ثم صيانتها من طمع الغرباء واغزاه (الكنز).
٥. تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).
٦. إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ إذ قررت إنشاء جريدة المسرح أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدرس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصيرها، ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم بستان (بلالين) وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت، وتصدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجربها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام ١٩٧٣م إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن

والقرى في الأرض المحتلة ، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي ٢٨/٤/١٩٧٥م شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي (بلالين) و(بيالين) و(دبابيس) و (كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول عام ١٩٧٣م واتيح لتجربة (بلالين) أقوال نقدية تؤرخ مسيرتها مثل عطية أبو رويلة وفوزي البكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح. (٢)

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع) فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية لكع بن لكع راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨م حتى أواخر السبعينات مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاودة كامب ديفيد في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان ولا نشعر بترباط الأحداث أو تناميها. فكل فصل قائم بذاته وكل مشهد وحدة مستقلة ويصدر حبيبي مسرحية بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع" واللكع هو اللقيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب، والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً) فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تنصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول أفديكم/ فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم.

موسوعة الفلسطينية مجلد ٤ خاص ص ٢٣٣ محمود شريح ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المؤلف في البناء المسرحي "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الافرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه.

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو مجنونة بدر وبدور هي الأرض والقضية والألم الرمز تحن إلى أبنائها وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الانسان الفلسطيني الراض للمساومة والمتشبث بأرضه. أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الانسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي وسعادية هو

اليهودي وبدران وبدرية ويبدّر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف وشهزاد دلالة على البرجوازية العربية والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب يصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها. ولغة المسرحية نستفيد من التراث الشعبي ولاسيما قصة الزير سالم أبي ليلى المهلهل الكبير" فتظهر اقتباسات حبيبي منها ويبرز تأثيره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم. (٣)

قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجرا الى تشيلي في أمريكا الجنوبية وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام ١٨٥٠م) و أنجبت له ثلاثة أبناء "عيسى، إبراهيم، بدر) وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج وقررا التوجه الى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزا للتمثيل هناك وسافرا بحرا في باخرة قاصدين مصر أولا وعند اقترابهم من ساح الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية فنزلا الى المدينة للعلاج فاستأجرا بيتا فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية فأسسا شركة "كوندور فيلم" عام ١٩٢٧م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر. وكان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة لأفلام والفنانين السينمائيين) في مطلع القرن العشرين وتحديدًا في العقد الثالث ظهر الأخوان بدر وإبراهيم الاما اللذان اتخذوا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية وعمدا الى العودة للعمل في موطنهما فلسطين وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما) ولد بتشيلي في ٢٣/٤/١٩٠٧، وهو ممثل سينمائي فلسطيني هاجر في بداية حياته الى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه إبراهيم الى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب مرض بدر توجهوا الى الإسكندرية للاستشفاء وهناك استقروا وكونا ثنائيا ناجحا وعملا معا في الكتابة والتمثيل والإخراج ثم أسسا سويا شركة إنتاج سينمائي تدعى كوندور فيلم. وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسنة) في عام ١٩٤٧ أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في ١٠/١٠/١٩٤٧. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكره.

وبعد وفاة بدر، اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام ١٩٤٨ ، كما الممثلة عفاف شاعر في فيلم (سكة السلامة) في عام ١٩٤٩ والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام ١٩٥١ والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة) والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير). وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات أستوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام وتوالى النكبات على العائلة ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته انتهى بموت إبراهيم في ليلة ١٢ مايو ١٩٥٣. وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المروم بدر فلم تقم الا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام ١٩٥٣ مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله إبراهيم لاما وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش) (القاهرون) إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم افلامهم السينمائية:

- ١٩٢٧ قبلة الصحراء
- ١٩٣٥ معروف البدوي
- ١٩٢٨ فاجعة فوق الهرم
- ١٩٣٦ الهارب
- ١٩٣١ معجزة الحب
- ١٩٣٧ عز الطلب
- ١٩٣٤ شبح الماضي
- 1938 نفوس حائرة
- ١٩٣٩ الكنز المفقود (قيس وليلى)
- ١٩٤٤ عريس هنا
- ١٩٤٠ رجل دين بين امرأتين

البيه المزيف ١٩٤٥

صلاح الدين الأيوبي ١٩٤١

البدوية الحسنة ١٩٤٧

ابن الصحراء ١٩٤٢

(١) الموسوعة الفلسطينية مج ٥ خاص ص ١٦٤

إبراهيم لاما سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفرحية في بيت لحم ولد فيها في منتصف الصحراء) إذ عرض في سينما "الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام ١٩٣٠ انتقل الأخوان الى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية وبعها قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام ١٩٢٨م بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام ١٩٤٨ والقافلة تسير عام ١٩٥١م.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية ٣٠ فيلما خلال ٢٤ سنة وعمل مع كبار النجوم مثل "فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلي فوزي، شادية، بالإضافة الى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الإستوديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام وتوالى النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانخارت العائلة.

دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت أبراهيم (انتحارا) في ليلة ١٩٥٣ بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع:

(١) الموسوعة الفلسطينية خاص ج ٢ ص ٢٣٣ محمود شريح

(٢) = = - ج ٥ ص ٢٥

(٣) = = - ج ٥ ص ١٦٤

الفصل العاشر: انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين وشعبها العربي من نشاطات لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد. لكن الوضع بعد الانتداب ما فعلته الدولة المحتلة بشعب فلسطين الذي بقي فيها والذي يقال عنهم عرب ١٩٤٨ وكان عددهم ١٢٠ ألف نسمة مارست معهم ما يلي:

سمتهم السلط المحتلة بسكان ١٩٤٨ واعطتهم الجنسية الإسرائيلية ونفت عنهم الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً زمن الانتداب وكان هذا القرار إجحافاً فرضوه عليهم وجعل حياتهم في جحيم، وقد رأت السلطة بأن الرأي العام العالمي بات يميل شيئاً نحو العرب وأزاح عنهم الأحكام العسكرية ومنحهم حرية الحركة والعمالة المقننة والتعامل بالتجارة والصناعة وأعطت لبعض القرى تأسيس بلدياتها وتأمين الميزانية المتواضعة في إحداث المرفق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف. وكان هذا العطاء لا يبيح بالبناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات وكانت الرخصة تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال وفي بعض الحالات يأتي الرد بالرفض.

لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بكل عواملها نذكر بعضها وما أكثر

- العمالة في الوظائف والعمال هناك تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة ولو تساوت المؤهلات وكذلك بالعمالة ولو تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- هناك تمييز بين الرواتب فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي في المهنة والمؤهلات.
- التعليم تعامل السلطات ١ لتعليم في أراضي عام ١٩٤٨ معاملة من الدرجة الثانية بالبناء بالمرافق فيها ثم الميزانية المقدرة لكل منهما في المدارس العربي ومدارس المستوطنات.
- تعاني البلدات العربية من نقص في الأراضي المخصصة للبناء لأن السلطات صادرت أكثر أراضي القرية وأعطت القسم الأكبر للمستوطنات.
- وضع النائب الفلسطيني بالكنيست: مع أن النائب العربي الممثل لأبناء شعبه بالقانون يحق له الدفاع عن طلبات من يمثلهم وقد أصبح عدد النواب من عرب فلسطين يمثلون كتلة موحدة لها كلمتها في لبرلمان الإسرائيلي رغم القرارات التي اتهم أعضاء المجلس الطابور الخامس وآخرون بالقنبلة الموقوتة وتم طرد بعضا منهم.

وبعد احتلال إسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين الضفة والقطاع مع إخوانهم العرب في إسرائيل طمعا بتأثير هؤلاء على (سكان عام ١٩٤٨) على أخوتهم في الضفة والقطاع للتحويل نحو إسرائيل ولم يمضي سوى شهور قليلة وقد تبين لهم أن أملهم ضاع هدرا وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له وأن باتت العواطف العربية تتلاقى ولم يتغير عند أخوتنا أي شعور بحب فلسطين من أرض ونبات وحيوان وسكن وسكان وقد خاب ظنهم وسرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات والتبادل بالسلع والمعدات وطبقت إسرائيل سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع ولما واجهت المقاومة الاحتلال بكل مقوماته السياسية عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات بالضغط على هؤلاء بالنفي والسجن والاعتقال كاغتيا ل رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة) وهو إرهاب الدولة واشتدت المقاومة وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى مما أربكت السلطات العسكرية وكان ردها من القساوة كسر عظام المتظاهرين وموت الكثير برصاص العسكر أو إصابات بالغة بالرصاص المطاطي زد على ذلك بالسجون التي حوت الآلاف من المعتقلين حيث قيل (أنه لم يخل بيت في الضفة والقطاع ولم يدخل أحد أفراد السجن).

ومن نشاطات المقاومة بعض منها وما أكثرها وفي يوم الأرض في ٣٠ آذار الموافق عام ١٩٧٦ إذ شارك أبناء فلسطين في إضراب عام تضافرت فيه كل الفعاليات واطلق عليه يوم المساواة (السلام) وقد نظمت المناطق المحتلة عام ١٩٤٨ ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب إسرائيل وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيون بعدم استفزاز سلطات الاحتلال إلا أنه مع ذلك برزت شعارات معادية لإسرائيل والمؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبرا شائعا تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتا في قرية الطيبة، فأضرب العرب في إسرائيل إضرابا شاملا واطلقوا على إضرابهم هذا (يوم السكن) وقد ازدادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام ١٩٤٨ في حزيران عام 1967 احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمتهم العودة الى منازلهم

١. الانتفاضة الأولى: (انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقا للانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في ٩ آذار ١٩٨٧ أذ قام أهل المخيم وأهل القطاع عموماً بمظاهرات صاحبة أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز حيث أطلق الجنود النار في جباليا فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون بينهم أطفال، وفرض منع التجول على المخيم ومن أحيائها تطاير الشرر وعمت الانتفاضة كل القطاع ثم امتدت الى الضفة الغربية وازاء المشهد اليومي هبت فلسطين المحتلة كلها تأييداً وتعاوناً وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة قام إضراب عام لم تشهد البلاد له مثيلاً منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة، وابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد وقرع أجراس الكنائس وهذا التقليد نضالي معروف عن الآباء والأجداد ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس بالرنين انطلقت الجماهير في هذا اليوم التاريخي في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد في سبيل أحياء فلسطين كما خرجت جماهير الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ في الناصرة وحيفا وعكا وصولاً الى صحراء النقب، وقد شارك أهلنا في الجولان بهذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس بالشرطة الإسرائيلية واستمراراً للانتفاضة وفي ذكرى معركة الكرامة في ٢١ آذار إذ رفعت أعلام فلسطين واهيئت المتاريس في ظل إضراب شامل مثلما جرى في أم الفحم وقلقيلية وتحديهما للحصار العسكري والتمويني الذي فرض عليهما منذ تسعة أيام وقد تمكنت المجموعات المقاومة بوضع المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية، وقد قابلت السلطات الإسرائيلية كعادتها بالعنف والاعتداءات من ملاحقة واعتقالات (٢) وكانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من الضحايا (١١٦٢ شهيد بينهم حوالي ٢٤١ طفلاً ونحو ٩٠ ألف جريح ومصاب و ١٥ ألف معتقلاً وتدمير ١٢٢٨ منزلاً واقتلاع ١٤٠ ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية كما تم اعتقال ٦٠ ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة وعرب الداخل بالإضافة الى الأسرى العرب ولاستيعاب هذا العدد الهائل افتتحت إسرائيل سجون مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب والذي افتتح عام ١٩٨٨.

وقد قتل من الإسرائيليين ١٦٠ قتيلاً بينهم خمسة أطفال حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، إذ تم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر الاعتراف الإسرائيلي الأميركي بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين.

أدركت إسرائيل أن للاحتلال تأثير سلبي على المجتمع الفلسطيني كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي بالرغم الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحق شامير عن بحث أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين. أدت هزيمته الى صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتباط في داخل المجتمع الإسرائيلي مما يعني نهاية تهديد محتمل من "الجهة الشرقية" واستبعاد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل، مما أدى إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد فاكسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي يمكنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر خطراً على العرب عندما قام الابن جورج بوش استخدام نتائج الحرب على نقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية والدول قرار الجامعة العربية. فجاء مؤتمر مدريد الذي شكل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين وإسرائيل التشاور مع الفلسطينيين حكم ذاتي. تم اجراء بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين في التي ادت إلى التوصل لاتفاق أوسلو الذي أدى لانسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدءاً بغزة أريحا، عام ١٩٩٤، وتواصل مع باقي المدن الخليل وقلب مدينة القدس، مما يتنافى مع الاتفاق. كان ان قد سبق التوقيع تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين تعترف فيه منظمة التحرير بحق المنظمة إلغاء الإرهاب وبحق إسرائيل بالوجود، المقصود به مقاومة الاحتلال من وجهة النظر الإسرائيلية. في المقابل تلتزم إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل الشعب الفلسطيني.

تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة. في سبتمبر من عام ١٩٩٥ تم توقيع اتفاق جديد سمي بأوسلو ٢ وتضمن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل اي وهو هيئة حكم المجلس الوطني ٢٠ كانون سنة ١٩٦٥ تم اجراء أول انتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية ٢٠٠٤ الى السلطة الفلسطينية في أغسطس من عام وتم نقل الصلاحيات والمسؤولية إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمسة مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة والسياحة.

٢. الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى):

في مطلع عام ١٩٩٩ ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لانتهااء الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بحسب اتفاقية أوسلو والشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بعد مؤتمر قمة كامب ديفيد ولتي توضح أن محاولة إسرائيل

بدعم من الولايات المتحدة فرض حل على الفلسطينيين بعيدا عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية بقراراتها (١٩٤٤، ٣٣٨، ٢٤٢) تلك الى جانب عدم تطبيق إسرائيل الى عدد من الجوانب التي اتفق عليها في أوصلو أو الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة. واستمرار الصهاينة في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية ورفض الإفراج عن الأسرى بالإضافة الى استمرار بناء المستوطنات واستبعاد عودة اللاجئين واستبعاد الانسحاب لحدود عام ١٩٦٧ جعل الفلسطينيين بفشل واستحالة الاتفاق مع الصهاينة والمحادثات مضیعة للوقت وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي قام رئيس وزراء إسرائيل الأسبق آريل شارون باقتحام المسجد الأقصى وتحويل في ساحاته وقال أن الحرم القدسي سيبقى منطقة اسرائيلية مما أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين فاندلعت المواجهات بين المصلين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى فسقط سبعة شهداء وجرح ٢٥٠ واصيب ١٣ جندي إسرائيلي وكانت هذه بداية، انتفاضة الأقصى. (٤)

(٤) الموسوعة الحرة: ويكيبيديا

بدأت الانتفاضة في ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٠ وتوقفت فعليا في ٢٠٠٥ / ٢ / ٨ بعد اتفاق الهدنة التي عقدت في شرم الشيخ والذي جمع الرئيس الفلسطيني الجديد المنتخب حديثا ورئيس وزراء إسرائيل آريل شارون، وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقتها بالعنف المسلح وتصاعد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي راح ضحيتها (٤٤١٢) شهيدا فلسطينيا وجرح (٤٨٣٢٢) جريح وأما خسائر الجيش الإسرائيلي (٣٣٤) قتيلًا ومن المستوطنين ٧٣٥ قتيل ليصبح مجموع القتلى الصهاينة (١٠٦٩) قتيل (و٤٥٠٠) جريح وعطب ٥٠ دبابة من نوع ميركافا وتدمير عدد من الجيبيات العسكرية والمدروعات. وتعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها باجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية، تدمير مؤسسات السلطة، تدمير ممتلكات المواطنين واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.

- بناء الجدار العازل وآثاره المدمرة على الشعب الفلسطيني المعذب تحت رعاية الأمم المتحدة المناقفة وتبريكات بعض حكام العرب المنبطحين خوازيق الزعامة الصهيونية.
- تطوير المقاومة للصواريخ كماً ونوعاً وفشل إسرائيل في قضائها على المقاومة بتأليب بعض الحكام من العرب ضد المقاومة وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل في تصفية القضية وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وبادتهم وتذويهم في المجتمعات الأخرى لكن مكرهم سيرتد عليهم والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

- ١- انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادية.
- ٢- ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.
- ٣- اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
- ٤- إلحاق عدد من القتلى الإسرائيليين بسبب اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.
- ٥- مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.
- ٦- تحطيم مقولة الجيش الذي لا يقهر في معركة مخيم جنين الذي قتل فيه (٥٨) جندي إسرائيلي وجرح (١٤٢٢)
- ٧- ضرب اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج خرجت فيها مظاهرات تأييداً للانتفاضة وهو ما أخرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها مؤتمراتها المناقفة لتخدير الناس ولا زالت.

٣. الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى.

حاولت وتحاول إسرائيل توظيف الصراعات العربية بعضهم ببعض فجمدت مفاوضات السلام التي نبذتها ورأت أن الوضع يخدم طموحاتها وأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى المراد إقامة المستوطنات عليها ونشط الاستيطان رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة ربيبة الاستعمار هذه الأيام وطاب لحزب الليكود ورئيسه مع الإرهابي الصهيوني

نتينياهو وليبرمان العنصري رؤية خذلان القادة العرب وتأمرهم معهم على المكشوف مع عدو العرب وتعاون مخبراتهم مع من يكرهون شعوبهم إذ أخذ البعض منهم يمارس الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتهم بالإرهابيين فزادت سلطة الاحتلال من جبروتها وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين بزيادة نهب الأراضي ونسف البيوت ومهاجمة وتعذيب السكان بالجملة حتى سكان ١٩٤٨ لم يسلموا من التنكيل باعتبارهم عرب وأطلقت العنان لعصابات من المتشددین العبث بأماكن وأرواح عرب فلسطين بغية تطفيشهم من حرق بيوت مع ساكنيها وحرق شجر الزيتون وقطع اشجار الفواكه وتجريف التربة والاعتقال المبرمج للشيشطين آخرها يوم الجمعة في ١٤/تموز/٢٠١٧ إغلاق المسجد الأقصى المبارك الذي يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين، وتصريحاتهم العدوانية والاستفزازية لأهل فلسطين، وتصميمهم في تهويد كل فلسطين والأمم المتحدة خائفة لا تقوى على نصره المظلوم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية، والأغرب من ذلك من رؤساء الغرب أنهم يطلقون التصريحات في انتقاد إسرائيل على ما تقوم به ويتجاهلون ممارسة الرد عليها عملياً. وقد قام شعب فلسطين بالداخل والخارج متحدياً سلطات الاحتلال والتزم المقدسيون واحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم وأجسادهم وأيديهم الفارغة في مقاومة أسلحة الجنود الفتاكة طالبين الشهادة ويبرهنوا للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أعلى من الروح والجسد وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بزيادة العنف بإصابات من قنابل الدخان والرصاص المطاطي والاعتقالات ومضاعفة الجرحى وشعب القدس صامد ووراء أهله في فلسطين، لم يعرف الغرب بعد بأن الصهيونية باتت عبئاً عليهم وقد يأتيهم دور ما حل بالزعامات العربية من ذل واحتقار حتى قام بعض الساسة في الولايات المتحدة يشعرون بسطوة منظمة (آيباك) الأميركية الصهيونية على الحكم ودورها باحتلال الكونغرس، والبتاغون ثم البيت الأبيض هذه الأيام.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا بأن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان ويبقى التغيير في النظم حاصلًا والعدل والمساواة ونبد الظلم وتحقيق العدل هو سمة البشر ضد الأشرار.

المراجع :

(١) الموسوعة الفلسطينية خاص ج٦ ص ١٠٠٦ شفيق الحوت وبيان نويهض

(٢) الموسوعة الفلسطينية خاص ج٦ ص ١٠٠٨ شفيق الحوت وبيان نويهض



الشهادات التي يحملها المؤلف:

* ثانوية عامة آداب (اجتماعيات)

* بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية)

* دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق

* شهادة في التوجيه التربوي اونروا /يونيسكو

* شهادة تربية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

من مؤلفاته:

١- بلدة كفر سوسة (رسالة جامعية للتخرج) ٢- مدينة عكا

٣- قرية اجزم ٤- أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير

٥- الإدارة الأميركية المحافظة تسييس نبوءات التوراة

٦- الإمريالية المتصهينة التمييز العنصري ٧- مذكراتي



(بلدة الرامة- بلدة الرينة- بلدة السموع- مدينة الطيبة -بلدة الفريديس- مدينة أم الفحم- مدينة باقة - لغربية- بلدة برقة نابلس- بلدة المغار- مدينة بيت جالا- مدينة بيت ساحور- مدينة بيت حانون- بلدة بيت حنينا- بلديتي بيت رما ودير غسان- بلدة بيت صوري- بلدة بيت عور التحتا - مدينة بيت لاهيا- بلدة بير زيت- بلدة بورين- مدينة جباليا- بلدة حلحول- مدينة خان يونس- بلدة دالية الكرمل- مدينة - دورا الخليل- مدينة دير البلح- بلدة دير الغصون- بلدة دير بوان- مدينة راهط - مدينة سخنين- بلدة - سلفيت محافظة- بلدة شعب- مدينة شفا عمرو- بلدة شويكة- مدينة طمرة- بلدة طوباس محافظة - مدينة بني صعب- بلدة الظاهرية- بلديتي عارة وعرة- مدينة عرابة البطوف - بلدة عقربا- بلدة - عنتابا- بلدة كفر قاسم - بلدة كفر كنا- مدينة قلقيلية- بلدة قلنسوة - مدينة يافا الناصرة -مدينة يطا - مدينة يعبد بلدة السموع الخليل.